

الحجاج في المعارضات الشعرية

بقلم الأستاذة

شيخة راضي سميليل العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

إن الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستهدية، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه من يهديه الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، الحمد لله الذي أضاء بالقرآن القلوب، وأنزله في أعزب لفظ وأجزل أسلوب، فأعجزت بلاغته البلغاء، وأعيت حكمته الحكماء، وأصلي وأسلم على من بعثه الله بكتابه العظيم، وأعطاه الله جوامع الكلم سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن دعى بدعوته وقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد شهد الدرس البلاغي في الدراسة المعاصرة نقلة نوعية انطلاقاً من العودة القوية للبلاغة تحت مسمى (البلاغة الجديدة) التي ارتبطت ببلاغة الحجاج على يد بيرلمان، وذلك من خلال مؤلفه (مقال في البرهان: البلاغة الجديدة)، والذي يعتمد فيه على محاولة إعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية. وتعد هذه الخطوة محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها، ووصف خصائصها الإقناعية التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تُقدم لهم أو تُعزز هذا التأييد.

ولعل ما يميز البلاغة الجديدة عن غيرها من النظريات التي تهتم بالخطاب أنها نظرية تسعى إلى الكشف عن بنية المعاني التي يتألف منها الخطاب؛ وهذا ناتج من تأثرها بالمناهج اللسانية الحديثة التي تنظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها^(١)؛ لذا اتسعت ميادينها - البلاغة الجديدة - وأصبحت تشمل جميع الخطابات بما في ذلك الخطاب الشعري.

فما هو مفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة؟ وما الفرق بين الحجاج في البلاغة الجديدة و البلاغة القديمة؟

(١) الحربي، فرحان بدري . الأسلوبية في النقد العربي . بيروت: مجد المؤسسة الجامعية، ط: ١، ١٤٢٤. ص: ٣٢.

خطة البحث :

يتكون هذا البحث من :

مقدمة

أولاً/ مفهوم الحجاج

طبيعة الخطاب الحجاجي وعلاقته بالمعارضات الشعرية.

ثانياً / الحجاج البلاغي

بواعث الحجاج في المعارضات الشعرية.

تحولات المعنى في شعر المعارضات (دراسة في ضوء نظرية الحجاج)

ثالثاً / الحجاج الفلسفي (الآليات شبه المنطقية)

الوحدات الوظيفية لعناصر الحجاج في الشعر الإحيائي

الخاتمة

المراجع



أولاً/ مفهوم الحجاج :

الحجاج Argument لغة من حاج يحاج وهو تقديم الحجج والأدلة التي تؤيد الدعوى، يقول ابن منظور: « حاججته أحاجُّه حجاجاً ومحاجَّة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... وحاجَّه محاجَّه وحجاجاً نازعه الحجَّة... والحجَّة الدليل والبرهان وقيل: الحججة ما دافع به الخصم... وهو رجل محجاج أي جدل، وحجَّه يحجُّه حججاً: غلبه على حجَّته»^(١)، إذن يأتي الحجاج مرادفاً للجدل في أحيان كثيرة كما هو عند ابن منظور، الذي عرَّف الجدل بأنه: «مقابلة الحججة بالحجة»^(٢)، كما يأتي أيضاً مرادفاً للنزاع والخصام كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٣).

ويمكن القول إن الحجاج قد يأتي بمعنى الخصومة، أو الجدل، أو الغلبة، وكلها ألفاظ تجسد صورة الخطاب الحجاجي، فالخصومة بين الطرفين ينتج عنها الجدل الذي من خلاله تقام الحجج والبراهين، التي يستعين بها كل طرف في إثبات صحة ما يدعي حتى تتحقق الغلبة له.

الحجاج اصطلاحاً :

تقرب الدلالة اللغوية من الدلالة الاصطلاحية للحجاج في الدراسات الفلسفية الحديثة التي تتفق فيما بينها على كون الحجاج عملية اتصالية تعتمد الحججة المنطقية - بالأساس - وسيلة لإقناع الآخرين والتأثير فيهم؛ لذلك يتخذ الحجاج مفهوماً^(٤):

أولاً: طريقة تحليل واستدلال Reasoning بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك.

ثانياً: عملية اتصالية يُستخدم فيها المنطق Logic للتأثير في الآخرين.

كما هو واضح عند أندرسين Andersen ودوفر Dover اللذين ينظران للحجاج على أنه طريقة استخدام التحليل العقلي والدعوى المنطقية بغرض حل

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط: ٦، ٢٠٠٨. مادة (حجج).

(٢) لسان العرب: مادة (جدل).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٤) عبد المجيد، جميل. البلاغة والاتصال. القاهرة: دار غريب، ط: ١، ٢٠٠٢، ص: ١٠٥.

المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك^(١)، معنى ذلك أن المحاجج يسعى لاستخدام المنطق بهدف التأثير في الآخرين وإقناعهم. إذاً الحجاج حسب هذا التصور يتمثل في القواعد الداخلية للخطاب الذي يركز على اللغة، ويعتمد على مجموعة من الحجج تؤدي إلى نتيجة معينة؛ لذلك يتخذ الحجاج شكلاً لغوياً ومضموناً معرفياً.

أما الحجاج عند بيرلمان فهو «جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع»^(٢)؛ لذلك كان موضوع الخطابة الجديدة هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم^(٣)، والغاية من ذلك هو جعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه.

هذا وينزل الحجاج عند بيرلمان في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره، إلا أنه يختلف عن الخطابة والجدل من جهة جمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي، وهذا ما جعله - الحجاج - خطابة جديدة بالفعل^(٤). ويبدو أن الغاية من الحجاج هي محاولة استمالة وإقناع شخص بال قضية المعروضة عليه، أو زيادة شدة إقناعه لحملة على عمل أو تهيئة له؛ لذلك تُعد - الاستمالة - من أهم العناصر التي بُنيت عليها تعريفات الحجاج عند الكثير من الباحثين، أمثال ريك Rieke وسيلارز Sillars، حيث يعرف هذان الباحثان الحجاج بأنه عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الآراء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموافقة لإحدى تلك الدعاوى^(٥).

(١) العبد، محمد. (النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع) ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته. إشراف حافظ إسماعيلي علوي، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠، ص: ٥.

(٢) الدريري، سامية. الحجاج في الشعر العربي القديم. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط: ٢، ١٤٣٢ : ٢٠.

(٣) الطلبة، محمد سالم الأمين. الحجاج في البلاغة المعاصرة. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨: ١٠٧.

(٤) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢٢.

(٥) النص الحجاجي العربي: ٦.

ويختلف الحجاج عند أرفالد ديكر و O.Ducrot اختلافاً تاماً عما كان عليه عند بيرلمان، فالحجاج ينطلق عنده من الفكرة الشائعة التي مؤادها: (إننا نتكلم عامة بقصد التأثير)، أي أنه يقوم أساساً على اللغة بل يكمن فيها، حيث يهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية^(١). معنى ذلك أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهية ووظيفة حجاجية، فالحجاج باللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر^(٢)، أي أن المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماداً على بنيتها اللغوية.

وعلى هذا النحو ينزل الحجاج عند ديكر و أتباعه في صميم المدرسة البرغماتية التي تؤسس للتفاعل بين الباث والمتلقي في الخطاب؛ لذلك أقرّ - ديكر و - بسلطة الخطاب الحجاجي، الذي يسد المنافذ على أي حجاج مضاد فيحرص على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون سواها، وبذلك يتميز الحجاج عنده بميزتين أساسيتين هما^(٣):

١ - التأكيد على الوظيفة الحجاجية للبنى اللغوية .

٢ - إبراز سمة الخطاب التوجيهية .

من هنا يتضح الفرق في الحجاج عند كل من بيرلمان وديكر و حسب النظرية التي يمثلها كل واحد منهما.

ويفرق ديكر و بين معنيين للفظ الحجاج: المعنى العادي والمعنى الفني أو الاصطلاحي، فالحجاج بمعناه العادي هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون الخطاب بذلك ناجحاً فعلاً، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معياراً كافياً، إذ يجب أن لا تُهمل طبيعة السامع أو (المتقبل) المستهدف، فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبه للسامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية على إقناعه، فضلاً عن استئثار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير. أما الحجاج بالمعنى الفني فيدل على صنف مخصوص في العلاقات المودعة في

(١) العزاوي، أبو بكر. (الحجاج في اللغة)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ

إسماعيلي علوي، إربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠، ص: ٥٧.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢٣.

(٣) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢٣ - ٢٤

الخطاب والدرجة في اللسان ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية (scalaire) أو قابلة للقياس بالدرجات، أي تكون واصلة بين سلام^(١)، وهذا هو موضوع النظر في التداولية المدمجة.

أما مفهوم الحجاج في الثقافة العربية فقد تأسس من خلال كتابات عبد الله صولة، الذي يُعد أول من كتب في الحجاج في أطروحة علمية عالجه فيها مجموعة من تعريفات الحجاج في النظرية الحجاجية، نتج عنها أن الحجاج بوصفه كلمة دالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحجة بالحجة مما يعكس عملية الحوار والمناقشة بين الطرفين^(٢)، فهو يوحى بعلاقة ترادفية قائمة بينه وبين لفظة الجدل، ويشكل قاسماً مشتركاً بين الجدل والخطابة.

ويخرج صولة بعد استعراضه لمفاهيم الحجاج الجديدة عند مجموعة من الدارسين أمثال تولمين، وبرلمان وتيتيكاه، وديكرو، وماير باتخاذ موقفاً وسطاً بين هذه المفاهيم حيث يرى أن كل حجاج بفصل أو وصل، وأنه ليس كل قول بحجاج، وليست اللغة بكل وحدتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها، وفوق ذلك فإن لطبيعة النص دوراً أساسياً في إكساب لغته بعداً حجاجياً أو عدم إكسابها إياه، وإن من أنماط الإبداع ما ليس حجاجاً ولا هو مراد به الإقناع أصلاً مثل: (القصيد الغنائية، والتراجيديا، والميلودراما، والملهاة) وغيرها الكثير^(٣).

تلك بعض النماذج من تعريفات الحجاج التي تصب خلاصتها في القول بأن الحجاج هو المهارة الفردية أو الجماعية المستخدمة في البرهنة على مدى صلاحية الأطروحة المتبناة من المتلقي، ومحاولة استمالة المتلقي بطرق تأثيرية تهدف إلى إقناعه.

ومن خلال استعراضنا لبعض مفاهيم الحجاج في البلاغة الجديدة يمكن أن نحصر أهم الفروق الحجاجية في البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة فيما يلي:

١- الحجاج في البلاغة الجديدة يتسم بالمعقولة والحرية، فهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاور، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيداً عن الاعتباطية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة، وبعيداً عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل. أما الحجاج في البلاغة القديمة فهو عبارة عن مناورة

(١) الحباشة، صابر. التداولية والحجاج مداخل ونصوص. دمشق: صفحات: ط: ١، ٢٠٠٨: ٢١.

(٢) صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية. بيروت: دار الفارابي، ط: ٢، ٢٠٠٧، ص: ٩.

(٣) الحجاج في القرآن الكريم: ٤٠.

وتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضاً، ودفعه دفعاً إلى القبول باعتبارية الأحكام، لا بمعقوليتها، كما أنه - الحجاج - يتميز بصرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب.

٢- المتلقي في البلاغة الجديدة لم يعد سلبياً بل أصبح متلقياً إيجابياً فاعلاً، يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم ليتقبل - بذلك - من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، فالطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع. أما المتلقي في البلاغة القديمة فقد كان سلبياً يقتصر دوره على التلقي فقط.

٣- تُعد العلاقة بين المتلقي والمرسل في البلاغة الجديدة علاقة أفقية حيث يقف المتلقي بحكم إيجابيته في درجة موازية لدرجة المرسل. أما العلاقة بين المتلقي والمرسل في البلاغة القديمة علاقة رأسية فالمتلقي بحكم سلبيته يقف في درجة أدنى من درجة المرسل^(١).

طبيعة الخطاب الحجاجي وعلاقته بالمعارضات الشعرية :

يؤكد طه عبد الرحمن على أن حقل الحجاج هو الخطاب؛ لأن الأصل في تكوثر الكلام هو صفة الخطابية بناء على أنه لا كلام بغير خطاب، والأصل في تكوثر الخطاب هو صفة الحجاجية، بناءً على أنه لا خطاب بغير حجاج إذاً الحجاج يوصف بأنه طبيعة كل خطاب، والأصل في الحجاج هو صفة المجازية على أنه لا حجاج بغير مجاز^(٢)؛ لذا يتميز الخطاب الحجاجي بكونه خطاباً موجهاً وهادفاً، مبنياً بناءً استدلالياً يتم فيه اللجوء إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، وموجهاً مسبقاً بظروف تداولية تدعو إليها إكراهات قولية أو اجتماعية أو ثقافية أو علمية أو عملية أو سياسية، تتطلب الدفاع عن الرأي أو الانتصار لفكرة، أو تتطلب نقاشاً حجاجياً يلامس الحياة الاجتماعية، أو المؤسساتية بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد^(٣).

والحقيقة أن الخطاب الشعري يُعد خطاباً حجاجياً بوصفه ضرباً من ضروب الخطاب التي تُنجز بواسطة اللغة، بغض النظر عن اختلاف مظاهر الحجاج من خطاب

(١) مقدمة كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: ١٠ / ١.

(٢) عبد الرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط: ١، ١٩٩٨، ص: ٢١٣.

(٣) عشير، عبد السلام. عندما نتواصل نغير. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط: ٢، ٢٠٠٤، ص: ١٢٨.

شعري إلى آخر. وهذا ما تؤكدُه النظرية الحديثة، ف« الحجاج يوجد حيث ما وجدتُ اللغة »^(١). ويأتي الحجاج في الخطاب الشعري على هيئة سجالٍ بين طرفين كل منهما يحتاج الطرف الآخر شعراً، أو على هيئة حجاج من طرفٍ واحدٍ. كما يمكن أن يكون الشعر جزءاً من خطاب أعم بوصفه شاهداً مثل المثل أو الحكمة^(٢).

ومما لاشك فيه أن الحجاج يحضر بشكلٍ كبيرٍ في الخطاب الشعري ؛ وذلك لسببين هما^(٣):

أولاً : إن الشعر لا يهدف فقط إلى نقل التجربة الفردية الذاتية، بل يهدف إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج .

ثانياً : إن الخطاب الشعري يحاجج بأدبيته التي هي موضع تميزه وعلّة اصطفاؤه بوصفه خطاباً لغوياً يقوم على اللغة ويزخر بطاقة حجاجية .

والمعارضات الشعرية بوصفها خطاباً شعرياً فهي أيضاً خطاب حجاجي يقوم على الإقناع برؤية الشاعر المعارض لذاته، وإنسانيته، ووطنيته، وقوميته، كما أنها - المعارضات الشعرية - خير ما يمثل علاقة الشعر بالحجاج؛ لأن المعارضة تعني المباراة والمحاكاة والمجارة^(٤)، بمعنى أن يعجب شاعر من الشعراء بقصيدة شاعر آخر فيقوم بمعارضتها ومحادثتها، وينظم على بحرهما وقافيتها وموضوعها، ملتزماً بذلك التزاماً تاماً أو محدوداً، حريصاً على أن يضاهاه الشاعر المعارض إن لم يفقه ويتفوق عليه .

فالشاعر المعارض عندما يؤسس خطابه إنما يعرض فكرة أو أفكاراً ترتبط برؤيته الشاملة للكون، وموقفه من أشياء معينة ينحت معالمها باللغة؛ لتشكّل في النهاية محتوى الخطاب ومضمونه، وهو لا يعرضها لمجرد العرض ولا يبلورها بمختلف طرائق وفتيات القول لغاية التوضيح وفكّ اللبس والغموض فحسب بل إنه يهدف إلى إقناع المتلقي بها^(٥)، مستنداً في ذلك على حجج تحمله على الإذعان والتسليم. ويسعى الشاعر المعارض في خطابه الحجاجي إلى استغلال جميع إمكانات اللغة وطاقاتها،

(١) الشهري ، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. بيروت : دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط:١، ٢٠٠٤:٤٥٢ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : ٥٠٦ .

(٣) عيد ، محمد عبد الباسط. في حجاج النص الشعري . الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، ٢٠١٣ : ٣٥ .

(٤) زنبر ، أحمد. المعارضة الشعرية ، عتبات النص في القصيدة المغربية. المغرب: دار أبي رقرق، ط:١، ٢٠٠٨ : ١٢ .

(٥) الحجاج في الشعر العربي القديم : ٦٧ .

ووسائلها وآلياتها البلاغية؛ لتسخيرها في العملية الإقناعية، وذلك من منطلق إيمانه بأن الإقناع لا يتأتى إلا من خلال ما يقتضيه خطابه اللغوي من مرونة وتبدل وتحول بين السياقات التي تنقل مقاصده، والتي تستلزم ما يناسبها من أدلة وحجج تخدم تلك المقاصد.

نستنج من خلال ما سبق أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الحجاج والخطاب الشعري، فالحجاج يحضر في الشعر؛ لأنه يأتي في حقيقة الأمر ليرفد التخيل إذ يعجز منفرداً عن تحقيق ماهية الشعر؛ لذلك يضطلع الشاعر في خطابه الشعري بوظيفة حجاجية إلى جانب الوظيفة الإمتاعية دون أن يهمل جانب (التخيل) ولا أن يغلب الإقناع كغاية لخطابه على الإطراب واللاإداز^(١).

وكما هو معلوم من أن دلالة الخطاب تتحول من المعنى الظاهر الذي تدل عليه اللغة في الخطاب الغائب (النص التراثي) إلى معان جديدة في الخطاب الحاضر (النص الإحيائي)؛ وذلك بفعل السياقات التي ينتج فيها، والآليات والوسائل الإقناعية التي يستخدمها الشاعر الإحيائي في محاولته إقناع المتلقي بوجهة نظره، أو في دفاعه عن فكرة يحتج لها؛ لذا تُعنى قراءتنا لنصوص شعر المعارضات في هذا الفصل باستراتيجيات الحجاج وأساليبه ودوره في تحولات المعنى بين نصوص المعارضات أي إحداث تطور في المعنى من نص لآخر. كما تُعنى باختبار قدرة الخطاب الشعري على الحجاج من منطلق كون الشعر ماهية ووظيفة تختلف عن ظرفية الحجاج والإقناع.

ومن هنا كان التساؤل الذي يشغلنا هل يمكن أن يكون الخطاب الشعري الإحيائي خطاباً حجاجياً؟ وهل يمكن أن يقوم الخطاب الإحيائي بوظيفة حجاجية؟ هل يمكن أن يجتمع التخيل الذي ينبنى عليه الشعر مع الحجاج الذي يسعى إلى الإقناع؟ وأخيراً هل يمكن أن يكون للحجاج في الخطاب الإحيائي دورٌ في تحولات المعنى؟

استراتيجيات الحجاج:

تتمثل إستراتيجيات الحجاج في ثلاثة وجوه هي:

١- الإقناع:

يتأسس الخطاب الحجاجي على إستراتيجية الإقناع؛ لأن من أهم الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه هو إقناع المرسل إليه بما يراه أي

(١) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٦٢-٦٥.

«إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي»^(١) لديه، فالإقناع هو عبارة عن «عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما أو يعتبره الخطيب شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو الترك»^(٢). فمهما كانت مقاصد المخاطب وغاياته التي يروم تحقيقها في خطابه الحجاجي فإنها لا تتأتى إلا من خلال إستراتيجية الإقناع الذي يُعد غاية الحجاج وهدفه، لذلك لا بد أن يجند - المخاطب - كل جزئيات القول ودقائقه التي من شأنها إحداث «أثر ما في المتلقي أي إقناعه بفكرة معينة وهو ما يعبر عنه اللسانيين بالوظيفة الإيحائية (Conative) للكلام»^(٣).

والمخاطب يتتبع في تحصيل غرضه «سبلاً استدلالية متنوعة تخر الغير جراً إلى الاقتناع برأيه... وقد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع، فتكون، إذ ذاك، أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه»^(٤)، كما هو حاصل في حجاج الخطاب الشعري. وتتحدد مكونات العملية الإقناعية بطرفي الخطاب، وبفعلها في صوغ الحجة وإبطالها، بالإضافة للصفات الدلالية كالأدلة والدعاوي؛ لذلك انصب جهد بيرلمان وتيتيكاه على التفاعل بين الباث والمتلقي في الخطاب الحجاجي.

٢- البرهنة :

هي من الإستراتيجيات التي يلجأ إليها المخاطب في خطابه الحجاجي؛ لتحقيق عملية الإقناع، والتأكيد على صدق ما يدعيه، فالبرهنة في أبسط صورها هي «استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقة النتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب، وذلك انطلاقاً من المقدمات المعتمدة صادقة أو محتملة»^(٥). إذاً تستخدم البرهنة في الاستدلال على صدق أو احتمالية ما يدعيه المخاطب. وتتمثل البرهنة في «الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مروراً بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولاً إلى أطف

(١) بليث، هنريش. البلاغة والأسلوبية، ترجمة: محمد العمري، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩٩: ٦٤.

(٢) نقلاً عن: استراتيجيات الخطاب: ٤٥١.

(٣) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢٦.

(٤) عبد الرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط: ٢، ٢٠٠٢، ص: ٣٨.

(٥) التداولية والحجاج: ٦٩.

فكرة وأنفذهها»^(١). معنى ذلك أنها عملية فكرية انتقالية ينتقل فيها المخاطب من العام إلى الخاص من خلال عرضه للأمثلة والحجج والأدلة التي يسوقها في خطابه بهدف إقناع المخاطب.

وتؤدي البرهنة دورًا كبيرًا في تطعيم الحجاج من الجهة الفنية بالأساليب الأدبية البلاغية، كما أنها من جهة ثانية « أقرب إلى التربية منها إلى الدعاية ففي حين يكون موضوع التربية مما يقر به الجمهور ويعتقده ويؤمن به، فإن موضوع الدعاية يكون جديدًا على أذهان الجمهور، والنوع البرهاني غايته مجرد إنشاء الاستعداد للعمل شأنه في ذلك شأن الخطاب التربوي»^(٢). إذاً الغاية من البرهنة هي التحفيز على العمل والاستعداد له.

٣- الاستدلال :

تعد استراتيجية الاستدلال من الأطر المكونة للحجاج والمحيط به؛ لذا لا يمكنه - الحجاج - الاستغناء عنه، فهو يمثل السياق العقلي له أي « تطوره المنطقي ذلك أن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة، فيكون بناؤه على نظام معين تتربط فيه العناصر وفق نسق تفاعلي وتهدف جميعا إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورته وجدناه ترتيبًا عقليًا للعناصر اللغوية، ترتيبًا يستجيب لنية الإقناع»^(٣). معنى ذلك أن الاستدلال يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبرهنة والإقناع، حيث إن ترتيب العناصر اللغوية الاستدلالية إنما هو بقصد البرهنة على صدق الإدعاء، والبرهنة إنما هي سعي إلى إقناع المتلقي، فالاستدلال هو « عملية ذهنية متصلة، بها يتم الانتقال من مقدمات إلى نتائج بالاستناد إلى علاقة منطقية تربط الأولى بالثانية»^(٤)، بمعنى أن الاستدلال هو أن تُستنبط النتائج من المقدمات دون لبس ولا غموض.

هذا ويقتضي الاستدلال أن تكون عناصره المكونة له غير قائمة على التعدد والاشتراك، فهي أحادية المعنى بحيث تكون العناصر مما يفهمه كل الناس، ولا يثير

(١) الحجاج في الشعر العربي القديم : ٢٧.

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة : ١١٠.

(٣) الحجاج في الشعر العربي القديم : ٢٧.

(٤) الرفي، هشام . (الحجاج عند أرسطو). ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٩٩.

تأويلها أي خلاف لديهم^(١). وقد يكون الاستدلال بالقياس عن طريق إخراج الجزء من الكل، أو يكون بالاستقراء عن طريق إخراج الكل من الجزء، أو بالتمثيل عن طريق إخراج الجزء الخفي من الجزء المعروف. ولعل النوع الأخير وهو الاستدلال بواسطة التمثيل هو أقرب أنواع الاستدلال إلى الشعر، وألصقها بجوهره باعتباره قائماً على التخيل، فالاستدلال بواسطة التمثيل هو تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه العلاقات^(٢)، بمعنى أن الاحتجاج عن طريق الاستدلال بالتمثيل إنما يكون عن طريق علاقة الشبه التي تربط بين الأمر الذي يحتاج له المخاطب بأمر آخر.

ونخلص بعد ذلك إلى القول إنه يمكن معرفة الاستراتيجية المتبعة في الخطاب الحجاجي من خلال النظر إلى حالة المتكلم في خطابه، هل هو يقنع؟ أو يبرهن؟ أو يستدل؟ وهذا ما سنطبقه على خطاب شعر المعارضات، لكن قبل ذلك يجب أن نقف على أهم بواعث الحجاج في شعر المعارضات.

بواعث الحجاج في المعارضات الشعرية:

يُعد خطاب (المعارضات الشعرية) رسالة لغوية، وعملية تواصلية ذات بواعث ومقاصد عدة تقوم عليها العلاقات التخاطبية؛ ذلك أنه « لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصديّة وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات»^(٣). والشاعر الإحيائي يسعى جاهداً إلى أن يستثمر جميع الإمكانيات السياقية، والطاقت اللغوية لنقل مقاصده عند إنتاج خطابه الإحيائي، فتتحول دلالة الخطاب من المعنى الظاهر الذي تدل عليه اللغة إلى معنى أو معانٍ أخرى، بمعنى أن الخطاب في شعر المعارضات ما هو إلا « علامة تنطوي عليها مقاصد المتكلم، وهذا ما يجعل معنى الخطاب يتعدد بتعدد السياقات التي ينتج فيها»^(٤).

(١) الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته) ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: ٣٠٠.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم: ٢٥٢.

(٣) دولودال، جيرار. التحليل السيميوطيقي للنص الشعري. ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط: ١، ١٩٩٤، ص: ٢٥.

(٤) استراتيجيات الخطاب: ١٨٥.

ويتضح مما سبق أن المقاصد والبواعث في العلاقات التخاطبية هي الأساس المنتج في جميع الخطابات وبخاصة الخطاب الحجاجي، فلولا تلك المقاصد لما كان هناك حاجة لإنشاء الخطاب من قبل المتكلم، وإرساله إلى المتلقي.

ومن أهم المقاصد والبواعث في خطاب (المعارضات الشعرية) الذي يهدف إلى الإقناع، الاختلاف Disagreement بين المخاطب والمخاطب، بل أنه يُعد الباعث والمحرك الأول للحجاج، فالحجاج لا يكون في أمر مأخوذ على أنه حقيقة يقينية راسخة، ولا يكون في أمر إلزامي واجب النفاذ، إنها يكون - الحجاج - في « ما هو مرجح Likely، وممكن Plausible، ومحتمل Probable، كما أن الأدلة التي تقدمها المحاجة ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، بحيث تقرر ما تقرر أو تنفي ما تنفي على سبيل الحقيقة المؤكدة والراسخة التي لا تقبل شكًا، أو لا تقبل احتمال خطأ ما تثبته أو صحته ما تنفيه، إذ ليس لمسألة ما تدور حولها محاجة حقيقية واحدة أو مطلقة، بل لها حقائق متعددة ومتدرجة، وعلى الأدلة أن ترجح إحداها على الأخرى، أو أن تصل إلى ما هو أقرب للصواب»^(١). معنى ذلك أن الحجاج يكون فقط في الأمور الممكنة والمحتملة، لذلك يقدم المخاطب حججه وأدلته التي ترجح حقيقة واحدة والتي غالبًا ما تكون أقرب لصحة المسألة التي يحاجج فيها المخاطب.

ومن المقاصد التي تقوم عليها العلاقة التخاطبية و يُعد من أهم بواعث الحجاج في الخطاب هو « قصد التوجه إلى الآخر، وقصد إفهامه مرادًا مخصوصًا، من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شك، وإنما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدتين التخاطبتين المذكورتين قصدتين معرفيتين هما: (قصد الادعاء) و(قصد الاعتراض)»^(٢). ويقتضي قصد الادعاء أن لا يكون المنطوق به خطابًا حقيقيًا، إلا إذا كان الناطق صريح الاعتقاد لما يقول في نفسه، ويكون على أتم الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة؛ ذلك لأن الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق، إما ناقلاً لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، وإما كاذبًا في قوله، فيكون عابثًا باعتقاد غيره، ولأن الخلو عن الاستعداد للتدليل يجعل الناطق إما متحكمًا بقوله، فلا يتوسل إلا بالسلطان، وإما مؤمنًا بقول غيره فلا يحتاج إلى برهان^(٣).

(١) البلاغة والاتصال: ١٠٦.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٥.

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٥.

وأما قصد الاعتراض فيقتضي أن لا يكون المنطوق به خطاباً حقيقياً، إلا عندما يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه، ذلك لأن فقد المنطوق لهذا الحق يجعله إما دائم التسليم بما يدعيه الناطق فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه، وإما عديم المشاركة في مدار الكلام^(١). معنى ذلك أن كل من المتكلم والسامع يضطلع بوظيفة أساسية في العملية الحجاجية - باعتبارهما طرفي تلك العملية-، فالمدعي (المخاطب) يحق له أن يدعي أمراً ما، ويستدل على ما يدعيه بالدليل والحجة، أما المعارض (المخاطب) فيحق له المطالبة بالدليل على قول المدعي.

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٢٥.

تحولات المعنى في شعر المعارضات (دراسة في ضوء نظرية الحجاج)

يحاول البحث في هذا الجزء التطبيقي أن يقرأ خطاب شعر المعارضات وفق المداخل الجديدة التي تقترحها النظرية البلاغية الجديدة للحجاج، والتي تنظر إلى أن الخطاب البليغ هو الخطاب المقنع، وأن كل خطاب يحمل ضمناً بعداً حجاجياً في ثناياه؛ لأن دراسة النظرية الحجاجية في خطاب شعر المعارضات تعتمد على ما يسمى بالبلاغة المتكاملة، أي إن الحجاج فيها يقوم على ثلاثة مستويات هي^(١):

١- الحجاج اللساني :

ويتضمن الأدوات اللغوية الصرفية، مثل: ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي. وكذلك الأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والوصف، وتحصيل الحاصل، وغيرها من الآليات اللغوية، لما لتلك الأدوات من دور بارز في تكوين اللغة الخطابية كميزان لسير الخطاب ونقل العوامل الحجاجية، ومن ومن ثم التحكم في الآراء النوعية والتأثير على المتلقي من خلال ذلك.

٢- الحجاج البلاغي :

ويُقصد به الآليات البلاغية، مثل: تقسيم الكل إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التمثيل، حيث تمثل هذه الآليات المستوى الدلالي الذي يؤدي دوراً هاماً في توجيه الدلالات والمقاصد وتحديد هوية الخطاب.

٣- الحجاج الفلسفي (الآليات شبه المنطقية) :

الآليات شبه المنطقية التي يُجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية. يندرج ضمنه الكثير منها، مثل: الروابط الحجاجية: (لكن، حتى، فضلاً عن، ليس كذا فحسب، أدوات التوكيد)، ودرجات التوكيد، والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصيغ الصرفية، مثل التعدية بأفعل التفضيل، والقياس، وصيغ المبالغة. وقراءة خطاب شعر المعارضات من خلال هذه المستويات يسهم في التقاط المعاني والدلالات الناتجة من أبنية الخطاب، وما فيها من دلالات وتراكيب بوصفه - الخطاب - مكوناً لغوياً ينمو فيه المعنى من خلال شبكة العلاقات السياقية بين دلالته

(١) استراتيجيات الخطاب : ٤٧٧.

وتراكيه^(١)، ووفق ما سبق أحاول في هذا الجزء دراسة المعاني المتحوّلة بتحوّل الأبنية الخطابية والتي يمكن أن نسيما بالتحوّلات الداخلية للخطاب، ومن ثم نقوم بدراسة كيفية تحوّل المعاني من الخطابات التراثية إلى الخطابات الإحيائية ضمن العلاقات التناسية التي تربط بين تلك الخطابات.

فهذه المستويات الخطابية هي المفتاح الأساسي لإدراك طبيعة التركيب البنائي في الخطاب التراثي، وفهم التقنية التي تؤدّيها تلك المستويات لإنتاج الدلالة والمعاني من الناحية الحجاجية^(٢)، ومن ثم مقارنتها بالمستويات الخطابية في خطاب شعر المعارضات؛ للوقوف على أثرها ودورها الحجاجي في تحوّل المقاصد، ومن ثم تحوّل الدلالات والمعاني في شعر المعارضات.

أولاً / الحجاج اللساني :

● أَلْفَاظُ التَّعْلِيلِ :

تُعدُّ أَلْفَاظُ التَّعْلِيلِ مِنَ الْأَدْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا الْمُخَاطَبُ لِتَرْكِيْبِ خُطَابِهِ الْحِجَاجِيِّ، وَبِنَاءِ حُجُجِهِ فِيهِ، وَمِنْهَا: (المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن). وغاية المخاطب من استعمال هذه الأدوات هو تبرير أو تعليل لفعله بناءً على سؤال ملفوظ به أو مفترض^(٣)، ومن أهم الألفاظ التعليلية التي استخدمها الشاعر ما يلي:

أ- المفعول لأجله :

يُعدُّ المفعول لأجله من أَلْفَاظِ التَّعْلِيلِ مَهْمَا كَانَ وَجْهَ وَرُودِهِ فِي الْخُطَابِ بِوصفه مصدرًا يبين علة ما قبله، ومشاركًا عامله في الوقت، والفاعل، وله أقسامٌ ثلاثة: مجرد من (أل) والإضافة، ومضاف، ومقترن بأل، وهو قليل الاستعمال قديمًا وحديثًا^(٤). وسنمثل على النوع الأول من أنواع المفعول لأجله وهو المجرد من (أل) والإضافة، حيث يقول ابن زيدون^(٥):

١٢- بَتُّمُ وَيَنَّا، فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ، وَلَا جَفَّتْ مَاقِينَا

(١) القرعان، فايز. سلطة النص على دالات الشكل البلاغي. أريد: عالم الكتب الحديث، ص: ١٢١

(٢) سلطة النص على دالات الشكل البلاغي: ١٢٧.

(٣) استراتيجيات الخطاب: ٤٧٨.

(٤) حسن، عباس. النحو الوافي. القاهرة: دار المعارف، ط: ١٣، ٢/ ٢٣٧.

(٥) ديوان ابن زيدون: ٢٩٩.

الشاعر هنا يريد أن يقنع المتلقي/محبوبته بأن ضلوعه بما تحويه من قلب وغيره لم تعدت تشعر بالإرتواء، وأن مآقيه لم تحف من استمرار البكاء، وعلّة ذلك وسببه هو الشوق إليها، إذن المفعول لأجله (شوقاً) هو الحجّة التي يقيمها الشاعر في هذا البيت، وهو علامة سيميائية تدل على شدة الحب والهوى، وأثر الشوق في حالته النفسية والمادية.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(١):

٧٩- لَوِ اسْتَطَعْنَا لَحُضْنَا الْجَوْ صَاعِقَةً وَالْبَرَّ نَارَ وَغَى وَالْبَحْرَ غَسَلِينَا

٨٠- سَعِيًّا إِلَى مِصْرَ نَقْضِي حَقَّ ذَاكِرِنَا فِيهَا إِذَا نَسِيَّ الْوَافِي وَبَاكِينَا

الشاعر هنا يريد أن يقنع المتلقي بأنه على استعداد لقطع المسافات وتحمل المخاطر سعياً إلى الحبيبة مصر، إذن العلة والسبب هو المفعول لأجله (سعيًّا)، وهو الحجّة التي يقيمها الشاعر في هذا البيت، كما أنه علامة سيميائية تدل على شدة اللوعة والحزن.

ومن خلال مقارنة الخطابين نجد أنهما يشتركان في نوع المفعول لأجله/ مجرد من أل والإضافة، كما أن الجامع بينهما هو بعد كلا الشعارين عن محبوبته، إلا أن الاختلاف بين الخطابين يكمن في جنس المحبوبة فالمحبوبة في الخطاب التراثي هي العنصر البشري/ولادة، أما المحبوبة في الخطاب الإحيائي هي العنصر المكاني/مصر؛ لذا تحول المعنى من شدة الحب والهوى في خطاب ابن زيدون إلى شدة اللوعة والحزن في خطاب شوقي.

ب- اللام :

تدرج اللام ضمن ألفاظ التعليل الحجاجية سواءً كانت لام كي، أم لام التعليل، واللام الناصبة للفعل المضارع، واللام الجارة. ومثال ذلك^(٢):

- أديت العمرة؛ لكي أرضي ربي وأطلب المغفرة لوالدي.
- قطعت الفيافي والقفار لأستمتع بهذه الآثار في بلدكم.

ومن أمثلة حجاجية (اللام الجارة):

قول أبي العلاء المعري^(٣):

(١) الشوقيات : ٦٨٤ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : ٤٧٩ .

(٣) سقط الزند : ٨ .

١٤- خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ، فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَ لَهُمُ لِلنَّفَادِ

يحاول أبو العلاء المعري أن يقنع المتلقي بالسبب الذي من أجله خلق الناس من خلال لام الجر في مفردة (للبقاء)، إذ إن خلق الناس إنما كان من أجل البقاء ولهذا هو يعترض على الحروب التي تقتل البشر، ويرى ذلك ضلالاً، وهذه هي الحجة التي بينتها ووضحتها لام الجر، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على الغاية والهدف.

ويقابل شوقي بيت أبي العلاء المعري بقوله^(١):

٤٤- أُمَّةٌ هَيْئَتْ وَقَوْمٌ لِحَيْرِ الدَّهْرِ — أَوْ شَرِّهِ عَلَى اسْتِعْدَادِ

فيورد لام الجر في مفردة (لِحَيْرِ الدَّهْرِ أَوْ شَرِّهِ) من أجل أن يقنع المتلقي بالسبب الذي من أجله هُيئت الأمة، ويحتج بأن هذه الأمة قد تهيأت واستعدت لمقابلة خير وشر هذا الدهر، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على الاستعداد والقبول.

وبمقارنة الخطابين نجد أنهما يشتركان في دخول لام الجر على الاسم (البقاء - خير) وكلاهما اسم مفرد مذكر، كما أنهما يشتركان في العنصر الذي من أجله تم الخلق وتمت التهيئة وهو العنصر البشري (الناس - الأمة)، أما وجه الاختلاف فتكمن في السياق، فالسياق في الخطاب التراثي يتحدث عن سبب الخلق وغايته، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن سبب التهيئة؛ لذا تحول المعنى من الغاية والهدف في خطاب أبي العلاء المعري إلى الاستعداد والقبول في خطاب شوقي.

أما أمثلة حجاجية (لام التعليل) فمنها:

قول النابغة^(٢):

٤٣- لَوْ أَنَّهُ عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ إِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِدٍ

٤٤- لَرْنَا لِرَوَّيْتِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَلِخَالَةِ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرَشِدِ

يستعمل الشاعر اللام الرابطة لجواب الشرط في الفعل (رنا) التي تحمل في معانيها التعليل، فمن أجل أن يبرهن على شدة جمال تلك الغانية نجده يورد حجة واضحة وقوية تتمثل في لو أنها عرضت على كبير السن المتعبد؛ لأصغى لرؤيتها ولحديثها، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على الافتتان وعدم المقاومة. وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٣):

(١) الشوقيات: ٢٥٤.

(٢) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية. الديوان. جمع وشرح وتعليق: محمد الطاهر ابن عاشور، تونس:

الشركة التونسية، ١٩٧٦، ص: ٩٨.

(٣) ديوان البارودي: ١/ ١٤٨.

١- ظنَّ الظنونَ فباتَ غيرَ موسَّدٍ حيرانَ يكلاً مستنيرَ الفرقَدِ
٢- تُلوي به الذُّكراتُ حتَّى إنَّه لِيظلُّ مُلقَى بينَ أيدي العُودِ

يستعمل الشاعر لام التعليل في الفعل (يظل) فمن أجل أن يُبرهن على شدة تأثره بالذكريات نجده يورد حجة واضحة وقوية تتمثل في أنه كلما استرجع تلك الذكريات يصبح كالمريض الملقى بين أيدي الزوار والعواد، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على شدة التأثر والاشتياق.

ومن خلال المقارنة التي عُقدت بين الخطابين نجد أنها يشتركان في وقوع الفعل على العنصر البشري، وهو العابد الراهب في خطاب النابغة، والذات الشاعرة في خطاب البارودي، ويختلف الخطaban في السياق فالسياق في الخطاب التراثي يتحدث عن موقف الراهب عندما تعرض عليه الغانية، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن الذكريات عندما تعرض للشاعر؛ لذا تحول المعنى من الافتتان وعدم المقاومة في الخطاب القديم إلى التأثر والاشتياق في الخطاب الجديد.

• الوصل السببي :

الوصل هو « عطف بعض الجمل على بعض »^(١) بواسطة أداة العطف التي تمثل واحدة من أبرز أدوات الربط على مستوى الجملة؛ إذ يُعدُّ الربط قرينة لفظية وخصيصة معروفة من خصائص التركيب النحوي للجملة، حيث يعمل على ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض الآخر بطريقة مناسبة في السياق فيضفي بذلك ما أسماه جون لاينر بسمه التماسك الشكلي على الجمل^(٢).

ويرتبط الحجاج بما يُعرف بالوصل السببي الذي يعني أن « يعمد المرسل إلى الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى »^(٣)، ومثال ذلك قول بعض الحكماء: « إذا كنت نهماً فعدّ نفسك من الزمنى؛ واعلم أنَّ الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم، والسقم داعية

(١) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب . الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع . وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ٢٠٠٣: ١٥١.

(٢) لاينر، جون . اللغة والمعنى والسياق . ترجمة: عباس صادق الوهاب ، مراجعة: يوثيل عزيز ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧، ص: ٢١٩-٢٢٠.

(٣) استراتيجيات الخطاب : ٤٨٠.

الموت، ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة؛ لأنه قاتل نفسه»^(١)، هذا النوع من الوصل هو وصلٌ تنبؤي بين الشبع بوصفه العلة الأساس والموت بوصفه نتيجة له، فالشبع نتيجة الشبع^(٢).

وتعد الواو من الأدوات المختصة بمبحث الوصل دون غيرها من أدوات العطف الأخرى، حيث يقول عبد القاهر الجرجاني «وأعلم أنه إنما يعرّض الإشكال في (الواو) دون غيرها من حروف العطف، وذلك لأن تلك تفيد مع الإشارك معاني، مثل أن (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ، و(ثم) تُوجبه مع تراخ، و(أو) تردّد الفعل/ بين شيئين وتجعله لأحدهما لا بعينه... وليس (للواو) معنى سوى الإشارك في الحكم الذي يقتضيه الإعراب الذي أتبعته فيه الثاني الأول»^(٣).

وتدخل حروف العطف وبخاصة الواو ضمن الآليات والروابط الحجاجية التي تربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة، وهذا في إطار الصيغة الجديدة للنظرية الحجاجية، أما في التصور التقليدي فقد يُنظر إليها بوصفها تربط بين قولين أو أكثر فقط^(٤).

ومن أمثلة حجاجية حروف الواو قول أبي تمام^(٥):

- ٦- عَجَائِبًا زَعَمُوا أَيَّامَ مُجْفَلَةٍ عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ
٧- وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْعَرَبِيُّ دُوَّ الدَّنْبِ
٨- وَصَيَّرُوا الْأَبْرَاجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلَبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلَبِ
٩- يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ
١٠- لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

يستخدم الشاعر هنا الرابط الحجاجي (الواو) ليربط بين أحداث متتابعة ساهمت في تكوين إدعاءات مُضللة، وهذا الوصل التتابعي يؤدي إلى ترتيب ووصل عددٍ من الحجج بعضها ببعض، التي من خلالها يحاول الشاعر إقناع المتلقي على دعواه

(١) ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد . العقد الفريد . تحقيق : عبد المجيد الترحيبي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط : ١ ، ١٤٠٤ ، ٧ / ٢٠٥ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : ٤٨٠ .

(٣) الجرجاني، عبد القاهر . دلائل الإعجاز . قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر ، القاهرة : مطبعة المدني ، ط : ٣ ، ١٩٩٢ : ٢٢٤ .

(٤) العزاوي ، أبو بكر . اللغة والحجاج . الدار البيضاء ، ط . ١ ، ٢٠٠٦ : ٢٩ .

(٥) ديوان أبو تمام : ٤٣ - ٤٥ .

(ببطلان إدعاءات المنجمين)، حيث وصل الحجة الأولى هي (زعمهم بأن هناك أمورًا تظهر في صفر أو رجب، وأن الأيام تُسرع في إظهارها) بالحجة الثانية (تحذيرهم من خروج فتنة عظيمة)، ثم بالحجة الثالثة (ترتيبهم للنجوم المنقلبة والثابتة)، وهذا الوصل ساهم في بناء مقدمة الخطاب الحجاجي ثم التوصل إلى النتيجة النهائية (لو بَيَّنَّتْ قَطُّ أمرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ، لَمْ تُخَفِّ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ)، وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على الزعم والتجني.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(١):

٤٠- هُمْ حَسَنُوا لِلسَّوَادِ الْبَلَهَ مَمْلَكَةً مِنْ لَيْدَةِ اللَّيْثِ أَوْ مِنْ غَيْلِهِ الْأَشْبِ
٤١- وَأَنْشَأُوا نُزْهَةً لِلْجَيْشِ قَاتِلَةً وَمَنْ تَنْزَهُ فِي الْأَجَامِ لَمْ يُؤَبِّ
٤٢- ضَلَّ الْأَمِيرُ كَمَا ضَلَّ الْوَزِيرُ بِهِمْ كِلَا السَّرَائِينَ أَظْهَاهُمْ وَلَمْ يَصْبِ
٤٣- تَجَاذَبَاهُمْ كَمَا شَاءَ بِمُخْتَلَفٍ مِنْ الْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ مُخْتَلِبِ
٤٤- وَكَيْفَ تَلْقَى نَجَاحًا أُمَّةٌ ذَهَبَتْ حَزِينِينَ ضِدِّينَ عِنْدَ الْحَادِثِ الْحَرْبِ

يستخدم شوقي أيضًا الرابط الحجاجي (الواو) في خطابه؛ ليوصل عددًا من الحجج التي يحاول بها إقناع المتلقي بدعواه (عدم إمام جيش الأعداء بأمور الحرب)، وهذا الرابط الحجاجي ساهم في وصل الحجج وترتيبها بعضها ببعض، فالحجة الأولى هي (تحسينهم البله مملكة للسواد)، وصلها بالحجة الثانية (إنشائهم نزهة للجيش)، وهذا التسلسل ساهم في بناء مقدمة الخطاب الحجاجي والتوصل إلى النتيجة النهائية (أنهم وجدوا ما أمَّلوا سرابًا وتجادبتهم الأمانى والأحلام، ولم يحالفهم النجاح) وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على الجهل وسوء التصرف.

ومن خلال المقارنة التي عُقدت بين الخطابين نجد أنها يشتركان في وقوع الفعل على العنصر البشري، وهم المنجمون في خطاب أبي تمام، وجيش الأعداء في خطاب شوقي، ويختلف الخطبان في السياق فالسياق في الخطاب التراثي يتحدث عن إدعاءات المنجمين، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن تجهيزات جيش الأعداء للمعركة؛ لذا تحول المعنى من الزعم والتجني في الخطاب القديم إلى الجهل وسوء التصرف في الخطاب الجديد.

وفي مثال آخر لحرف الغاء يقول الشريف الرضي^(٢):

(١) الشوقيات : ١٦٣ .

(٢) ديوان الشريف الرضي : ٨٥ .

٥- فحسبي أني في الأعادي مُبغض ، وأنسي إلى غر المعالي مُحِبُّ

يستخدم الشريف الرضي الرابط الحجاجي (الفاء) في خطابه؛ ليوصل عددًا من الحجج التي يحاول بها إقناع المتلقي بدعواه (كثرة تجاربه في الحياة)، وهذا الرابط الحجاجي ساهم في وصل الحجج بعضها ببعض فالحجة الأولى هي (مُبغض في الأعادي)، يليها الحجة الثانية (مُحِبُّ إلى غر المعالي)، وهذا التسلسل ساهم في مقدمة بناء الخطاب الحجاجي واستنتاج النتيجة (ترفع الشاعر وسعيه للمعالي)، وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على الغاية والهدف.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(١):

١٢- فَلَسْتُ لِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعًا وَأَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أُنْعَبُّ

يستخدم البارودي نفس الرابط الحجاجي (الفاء) في خطابه؛ من أجل أن يوصل عددًا من الحجج التي يحاول بها إقناع المتلقي على دعواه (ذو نفسه أبيه)، وهذا الرابط الحجاجي ساهم في وصل الحجج بعضها ببعض فالحجة الأولى هي (عدم السعي وراء ما لم يتوقع)، يليها الحجة الثانية (عدم ابداء العتب على ما فات)، وهذا التسلسل أسهم في مقدمة بناء الخطاب الحجاجي واستنتاج النتيجة (عدم الاندفاع)، وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على التآني والتروي.

ومن خلال المقارنة التي عُقدت بين الخطابين نجد أنها يشتركان في الفخر بالنفس، أما الاختلاف فيكمن في السياق فالسياق في الخطاب التراثي يتحدث عن نظرة الشاعر للأعداء وسعيه للمعالي، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن نظرة الشاعر للأمور؛ لذا تحول المعنى من الغاية والهدف في الخطاب القديم إلى التآني والتروي في الخطاب الجديد.

• التركيب الشرطي :

تدخل التراكيب الشرطية ضمن السلم الحجاجي حيث تمثل جملة الشرط سببًا وعلّة لجواب الشرط، ويمثل جواب الشرط النتيجة أو الحجة، وتلعب الأداة الشرطية دورها في الربط بين جملة الشرط / المقدمة، وجوابه / النتيجة ربطًا منطقيًا، وإبراز العلة أو الحجة مما يعكس الدور الحجاجي لذلك التركيب.

(١) ديوان البارودي : ٤٠/١.

ويرد الحجاج في التراكيب الشرطية الظاهرة التي تتضح من خلال العلاقة المنطقية بين الطرفين إذ يلزم ثبوت المتقدم^(١) في الجملة .
ومن أمثلة حجاجية التراكيب الشرطية قول عنتره^(٢):

٤٥- فإذا شربْتُ فَإِنِّي مُسْتَهْلِكُ مَالِي ، وَعَرَضِي وَاقْرَأْ لَمْ يَكَلِّمْ

أداة الشرط في هذا البيت (إذا) حيث ربطت بين جزئي الجملة الشرطية المقدمة فعل الشرط (شربْتُ) والنتيجة جواب الشرط (فإنني مُستهلكُ) بحيث يبدو الزمن متواصلًا بين هذين الجزأين، ويشير أسلوب الشرط إلى القيام بالعمل في الجزء الأول من الجملة، فإذا شرب عنتره فالنتيجة هي هلاك ماله بالعطاء، وعدم انتقاص حسبه وشرفه، وهذه حجة دامغة على أن مضره شرب الخمر مقصورة فقط على استهلاك المال، لكن شرف عنتره وعرضه لا يمكن المساس بهما، والعلامة السيميائية هي عظمة الحسب والشرف.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٣):

٩- فإذا نَطَقْتُ فَبِالْتِئَاءِ عَلَى الَّذِي أَوْلَيْتَهُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ وَأَنْعَمَ

أداة الشرط في هذا البيت (إذا) حيث ربطت بين جزئي الجملة الشرطية المقدمة فعل الشرط (نَطَقْتُ)، والنتيجة جواب الشرط (فبالتئاء على الذي أَوْلَيْتَهُ) بحيث يبدو الزمن متواصلًا بين هذين الجزأين، ويشير أسلوب الشرط إلى القيام بالعمل في الجزء الأول من الجملة، فإذا نطق البارودي فالنتيجة هي وقوع التئاء على من أولته الفضل، وهذه حجة قوية تؤكد أن البارودي لا ينطق بغير التئاء وذكر المحامد على من أسداه معروفًا/ الوطن، والحجة هنا علامة سيميائية تدل على مكانة الوطن.

ومن خلال المقارنة بين الخطابين نجد أنهما يشتركان في نفس الرابط الحجاجي (إذ)، وفي وقوع فعل الشرط على الذات الشاعرة، إلا أن الخطابين يختلفان في الحجّة، فالخطاب القديم يحتج بأهمية العرض والشرف وعدم المساس بهما، والخطاب الجديد يحتج بأهمية المكان/ الوطن وتخصيصه بالتئاء والمدح، ومن هنا تحول المعنى من أهمية ومكانة الشرف والعرض في الخطاب التراثي إلى مكانة الوطن في الخطاب الإحيائي، فالشرف والعرض في خطاب عنتره يُعادل الوطن في خطاب البارودي.

(١) استراتيجيات الخطاب: ٤٨٠-٤٨١.

(٢) ديوان عنتره: ٢٠٦.

(٣) ديوان البارودي: ٤٨٩/٣.

وفي مثال آخر يقول عنتره^(١):

٧٦- لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوِرَةُ أَشْتَكِي أَوْ كَانَ يَدْرِي مَا جَوَابُ تَكْلُمِي

تربط أداة الشرط في هذا البيت (لو) بين جزئي الجملة الشرطية المقدمة فعل الشرط (كأن يدري)، والنتيجة جواب الشرط (أشتكى)، ويشير أسلوب الشرط إلى عدم تحقق القيام بالعمل في الجزء الأول من الجملة، لذا فقد امتنع وقوع الجواب (الشكوى)، فلو وقع فعل الشرط العلم بالمحاورة لوقع جواب الشرط وهو شكوى فرس الشاعر، وهذه حجة دامغة على شدة المعركة وبأسلة الشاعر وقوته فيها، والعلامة السيميائية الجهل وعدم المعرفة بصرامة الفارس وشدة المعركة.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

٥٢- لَوْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ بِالَّذِي فِي الْغَيْبِ لَمْ يَفْرَحْ وَلَمْ يَتَنَدَّمْ

تربط أداة الشرط في هذا البيت (لو) بين جزئي الجملة الشرطية المقدمة فعل الشرط (كان للإنسان علم)، والنتيجة جواب الشرط (لم يفرح ولم يتندم)، ويشير أسلوب الشرط إلى عدم تحقق القيام بالعمل في الجزء الأول من الجملة، لذا فقد امتنع وقوع الجواب وهو عدم الفرح والتندم، وهذه حجة دامغة على جهل الإنسان بالغيب وعدم إطلاعه عليه، والعلامة السيميائية الجهل وعدم المعرفة بأمور المستقبل.

وبمقارنة الخطابين نجد أنهما يشتركان في نفس الرابط الحجاجي (لو)، كما أنهما يشتركان في فعل الشرط /عدم المعرفة (يدري/يعلم)، لكنهما يختلفان في نوع الجنس الذي وقع عليه فعل الشرط، ففي الخطاب الأول وقع فعل الشرط على العنصر الحيواني، أما في الخطاب الثاني فقد وقع فعل الشرط على العنصر البشري، كما أن الخطابين يختلفان في الحجة، فالخطاب القديم يحتج بشدة المعركة وبأسلة الشاعر وقوته، والخطاب الجديد يحتج بجهل الإنسان بالغيب وعدم إطلاعه عليه، ومن هنا تحول المعنى من الجهل وعدم المعرفة بصرامة الفارس وشدة المعركة في الخطاب التراثي إلى الجهل وعدم المعرفة بأمور المستقبل.

● الأفعال اللغوية :

تُسهَم الأفعال اللغوية - حسب رأي فان ايميرن وجرو تندورست - بأدوار حجاجية مختلفة، إذ يضطلع كلٌّ منها بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب

(١) ديوان عنتره: ٢١٨.

(٢) ديوان البارودي: ٣ / ٥٠٥.

الأفعال حسب مقدار الاستعمال؛ فالمخاطب يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريري إن لم يكن أغلبها؛ ليعبر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنها لم تعد صالحة، كما يعبر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة^(١).

وتنقسم الأفعال اللغوية من حيث دورها الحجاجي إلى^(٢):

١- الأفعال الالتزامية التي تُستعمل للتعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج من عدمه، وفي تدعيم موقف المتكلم الذي اتخذ لقبول التحدي والدفاع عن موقفه، وتستعمل كذلك للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدعوى أو معاداتها، واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه.

٢- الأفعال التوجيهية يقتصر استعمال المتكلم لها على الأفعال التي تحث على التحدي للدفاع عن وجهة النظر، أو طلب الحجاج.

ومن أمثلة الأفعال اللغوية ما يلي:

١- الاستفهام:

يُعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجاً، حيث تعود قيمته الحجاجية إلى أسباب اختصاصه بإنجاز العمل الحجاجي، سواء أعلق ذلك بالاستفهام الحقيقي أم الاستفهام غير الحقيقي (السؤال البلاغي)^(٣).

والسؤال البلاغي هو كل استفهام لا يقتضي الاستخبار أو طلب الجواب، بل هو نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية^(٤)، ويأتي توصل المتكلم به في خطابه؛ لسببين: إما لتضخيم الاختلاف حول الموضوع الذي لا يُشاطر المخاطب المتكلم الإقرار بجواب ما، وإمّا لتلطيف الاختلاف

(١) استراتيجيات الخطاب: ٤٨١-٤٨٢.

(٢) استراتيجيات الخطاب: ٤٨٢.

(٣) بن خراف، ابتسام. الخطاب الحجاجي السياسي كتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة، دراسة تداولية. جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، رسالة دكتوراه، ٢٠٠٩-٢٠١٠: ٣٠٤.

(٤) العزاوي، أبو بكر. الخطاب والحجاج. بيروت: مؤسسة الرحاب، ط: ١، ٢٠١٠: ٥٧.

بين المتكلم والمخاطب إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم^(١).

وأهم أدواته هي: (الهمزة، أم، هل، ما، من، أي، كم، كيف، أين، متى، أيان) ومن أمثلة الاستفهام الحجاجي قول أبو فراس^(٢):

١- أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ، أَمَا لِلهُوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ؟

يمكن اعتبار الاستفهام في الشطر الثاني (أَمَا لِلهُوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ؟) حجة تخدم نتيجة من قبل (جلد الشاعر وقوة تحملها)، وهو استفهام قائم على افتراضٍ ضمني وفق ما يقتضيه السياق، وهذا الافتراض يكمن في أن الشاعر يخضع لجبروت الهوى (أمره ونهيه)، فهذا الاستفهام يحمل طاقة حجاجية تكمن في أن الشاعر يتمتع بقوة الجلد والتحمل ومغالبة الهوى، وهذا الاستفهام الحجاجي علامة سيميائية تدل على المغالبة وعدم الخضوع.

وفي مقابل ذلك الاستفهام الحجاجي يقول البارودي^(٣):

٢- وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كَيْتَانَ لَوْعَةٍ يَنْسُمُ عَلَيْهَا مَدْمَعٌ وَرَفِيرٌ؟

الاستفهام الحجاجي يقع في شطري البيت (وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ كَيْتَانَ لَوْعَةٍ)، وهو حجة تخدم نتيجة من قبل (عدم القدرة على المقاومة)، والاستفهام هنا قائم على افتراضٍ ضمني وفق مقتضيات هذا السياق، ويكمن هذا الافتراض في أنه لا يستطيع كتمان اللوعة، والطاقة الحجاجية التي يحملها هذا الاستفهام تكمن في أن الشاعر لا يستطيع مغالبة اللوعة، وهذا الاستفهام الحجاجي علامة سيميائية تدل على العجز وعدم المقاومة.

ومن خلال المقارنة بين الاستفهامين تبين لنا أنها يشتركان في نفس خرق الاستفهام الأساسي وهو جهل المستفهم بما يطلب فهمه، الأمر الذي يجعل الشاعر عالمًا بوقوع المطلوب نفيًا وإثباتًا، كما يشتركان في العنصر البشري الموجه له الاستفهام الحجاجي، وهو (الذات الشاعرة) في كلا الخطابين، أما أوجه الاختلاف فتكمن في السياق حيث إن سياق الخطاب الأول يتحدث عن مقاومة الهوى، أما سياق الخطاب

(١) القارصي، محمد علي. البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار. ضمن كتاب:

أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. بإشراف: حمادي صمود، جامعة

الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، كلية الآداب، منوبة، ١٩٩٨، ص: ٣٩٩.

(٢) ديوان أبو فراس الحمداني: ١١٢.

(٣) الديوان البارودي: ٢٧/٢.

الثاني فهو يتحدث عن كتمان اللوعة؛ لذا تحول المعنى من المغالبة وعدم الخضوع في الخطاب التراثي إلى معنى العجز وعدم المقاومة في الخطاب الإحيائي.
٢- الأمر :

فعل الأمر هو محاولة دفع المخاطب للقيام بفعل معين، لذا يدخل ضمن الأفعال الإنجازية^(١). وصيغة الأمر الأصلية في الحجاج هي (أفعل) المعروفة مثبتاً أنها لا تحتمل غير الوجوب داحضاً كل الحجج التي تقول بغير ذلك غير غافل عن اعتبار مرتبة المرسل^(٢).

ومن أمثلة حجاجية الأمر قول البوصيري^(٣):

١٣٠- هُمُ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مَصَادِمُهُمْ ما ذارأى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدِمٍ

يكتسب فعل الأمر (سل) بعداً حجاجياً؛ إذ تضمن حجة تفضي إلى نتيجة ضمنية هي شجاعة وقوة صحابة رسول الله ﷺ؛ لذا طلب الشاعر من المتلقي السؤال عن التاريخ البطولي للصحابة، وحجاجية الأمر هنا علامة سيميائية تدل على القوة والبسالة.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٤):

٩٤- سَلَّ عُصْبَةَ الشُّرْكِ حَوْلَ الْغَارِ سَائِمَةً لَوْلَا مُطَارَدَةُ الْمُخْتَارِ لَمْ تُسَمِّ

يكتسب فعل الأمر (سل) بعداً حجاجياً في هذا البيت؛ إذ تضمن حجة تفضي إلى نتيجة ضمنية هي صرف الله لأهل قريش عن ملاحقة النبي ﷺ، وهذه القصة ذُكرت في القرآن الكريم، وحجاجية فعل الأمر هنا علامة سيميائية تدل على الإدحاض والحياة.

ومن خلال المقارنة بين الأمرين تبين لنا أنها يشتركان في نفس الأحداث الدينية والتاريخية، كما يشتركان في العنصر البشري الموجه له فعل الأمر وهو (المتلقي) في كلا الخطابين، أما أوجه الاختلاف فتكمن في السياق حيث إن سياق الخطاب الأول يتحدث عن تاريخ وبطولات الصحابة، أما سياق الخطاب الثاني فهو يتحدث عن

(١) اللغة والحجاج : ١٢٣ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : ٣٤٤ .

(٣) ديوان البوصيري : ٢٤٦ .

(٤) الشوقيات : ٦٣٤ .

مطاردة كفار قريش للنبي ﷺ؛ لذا تحول المعنى من القوة والبسالة في الخطاب التراثي إلى معنى الخيبة والإدحاض في الخطاب الإحيائي.

٣- النهي :

يُصنف النهي ضمن الأفعال التوجيهية وهو بمنزلة الأمر وله صيغة أصلية يتلفظ بها المرسل في خطابه^(١)، وتمثل هذه الصيغة في حرف « لا الجازم في قولك: (لا تفعل). والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل استعمال: (لا تفعل)، أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب... والأمر والنهي حقهما الفور»^(٢).

ومن أمثله قول البوصيري^(٣):

٢٥- وَلَا تُطْعُ مِنْهَا خَصْمًا وَلَا حَكْمًا فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكْمِ

يُعد استعمال البوصيري لصيغة النهي في (لا تُطْعُ) دليلًا صريحًا على حرصه على أن يبلغ قصده التوجيهي إلى المتلقي، وأن يفهم منه حرصه على أن يتقيد بعدم طاعة الخصم والحكم، حتى لا يقع في كيدهم وهذه هي الحجة التي يسعى الشاعر إلى توضيحها للمتلقي، وهي علامة سيميائية تدل على عدم الاغترار والميل.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٤):

١٧٦- لَا تَعْدِلُوهُ إِذَا طَافَ الذُّهُولُ بِهِ مَاتَ الْحَيِّبُ فَضَلَّ الصَّبُّ عَن رَعْمِ

يلجأ شوقي إلى استعمال صيغة النهي في (لا تعدلوه) التي تدل دلالة صريحة أيضًا على حرص شوقي على أن يبلغ قصده التوجيهي إلى المتلقي، وأنه يجب أن يتقيد بعدم لومه فيما ملكه من الذهول لموت محمد ﷺ، وهي علامة سيميائية تدل على ألم وحرقة الفقد.

ومن خلال المقارنة بين الخطابين تبين لنا أنهما يشتركان في نفس الفعل التوجيهي، وفي العنصر البشري الموجه له الفعل التوجيهي، وهو (الذات الشاعرة) في خطاب البوصيري، و(العدال) في خطاب شوقي، أما أوجه الاختلاف فتكمن في

(١) استراتيجيات الخطاب : ٣٤٩.

(٢) السكاكي، أبي يعقوب بن محمد بن علي. مفتاح العلوم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت : دار الكتب العلمية، ط: ٢، ٢٠١١، ٥٤٥.

(٣) ديوان البوصيري : ٢٤٠.

(٤) الشوقيات : ٦٤٤.

السياق حيث إن سياق الخطاب الأول يتحدث عن إطاعة الخصم والحكم، أما سياق الخطاب الثاني فهو يتحدث عن اللائمين للشاعر؛ لذا تحول المعنى من الحذر من الاغترار والميل في الخطاب التراثي إلى معنى الألم والحرق في الخطاب الإحيائي .
٤- النفي :

يدخل النفي ضمن الأفعال التوجيهية بوصفه أسلوباً يُراد به نقض فكرة وإنكارها، وهو ضد الإثبات. ومن أمثله قول أبي نواس^(١):

٤- فما أنا بالمشغوف ضربة لازب ، ولا كل سلطانٍ عليّ قديرٌ
تعد أقوال أبي نواس (ما أنا بالمشغوف ضربة لازب) و(لا كل سلطانٍ عليّ قديرٌ) حججاً لإقناع المتلقي بدعواه (منزلته العظيمة) فالشغف الذي يُلازم بني البشر ويرتبط بهم ليس لازماً ولا ثابتاً للشاعر، كما أن قوة السلطان - مهما كان نوع السلطان - التي يخضع لها البشر، لا تستطيع أن تُخضع الشاعر لحكمها، وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على التفرد وعدم الخضوع.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

٣٣- فما أنا عما يُكسبُ العزَّ ناكِبٌ ولا عند وقع المُخفَظَاتِ حَسِيرٌ
تعد أقوال البارودي (ما أنا عما يُكسبُ العزَّ ناكِبٌ) و(لا عند وقع المُخفَظَاتِ حَسِيرٌ) حججاً لإقناع المتلقي بدعواه (منزلته العظيمة) فالشاعر لا ينحرف ولا يميل عن الأمور التي تُكسب العز، كما أنه لا يضعف ولا يجبن عند الأمور التي تُثير الغضب، وهذه الحجج علامة سيميائية تدل على الثبات في مواطن العزة والشدة.

ومن خلال المقارنة بين الخطابين يظهر أنهما يشتركان في نفس الفعل التوجيهي، وفي العنصر البشري الموجه له الفعل التوجيهي، وهو (الذات الشاعرة) في خطاب أبي نواس وفي خطاب البارودي، أما أوجه الاختلاف فتكمن في السياق حيث إن سياق الخطاب الأول يتحدث عن عدم الخضوع للحب والسلطة، أما سياق الخطاب الثاني فهو يتحدث عن التقدم نحو العلاء؛ لذا تحول المعنى من التفرد وعدم الخضوع في الخطاب التراثي إلى معنى الثبات في مواطن العزة والشدة في الخطاب الإحيائي.

(١) ديوان أبو نواس : ٣٦٣ .

(٢) ديوان البارودي : ٢٥/٢ .

• الحجاج بالتبادل :

يحاول المخاطب هذه الآلية أن يصف الحل نفسه لوضعين في سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، يمكن أن تكون نقلاً لوجهة النظر بين المخاطب والمخاطب، مثل^(١):

١- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة .

٢- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك .

ويتميز هذا النوع من الحجاج بأنه دعوة المخاطب للمخاطب بترسيخ مبدأ المساواة؛ ولذلك يكثر استعمال الحجاج بالتبادل في النصائح لإقناع المخاطب بجدوى ما يذهب إليه مثل:

- الحقيقة مرة كاللدواء ، ولكنها مفيدة^(٢).

ومن أمثلة الحجاج بالتبادل في الخطابات الشعرية قول المتنبي^(٣):

٢٧- **فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجِدِّ سَعِيهِ** **وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّعْيِ جِدُّهُ**

يلجأ المتنبي في هذا البيت إلى تقنية الحجاج بالتبادل بين (المنصور بالجدِّ سعيه) وبين (المنصور بالسعي جدُّه)، حيث يسعى من خلال هذه التقنية إلى إقناع المتلقي بجدوى وجهة نظره، فهو يذهب إلى الخليفة منصور في كلتا الحالتين سواءً سعى نحو الجِدِّ، أو جَدِّ في السعي، وحنة التبادل هنا علامة سيميائية على تأكد الحظ الانتفاع .

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٤):

٢٩- **وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْمَرْءَ جِدُّهُ** **عَلَى سَعْيِهِ لَمْ يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ**^(٥)

يلجأ البارودي في هذا البيت إلى نفس تقنية الحجاج بالتبادل التي استخدمها المتنبي، حيث يُبادل البارودي بين (لم يُسعِدِ المرءَ جدُّه على سَعْيِهِ) وبين (لم يَبْلُغِ السُّؤْلَ جِدُّهُ)؛ وذلك من أجل إقناع المتلقي بجدوى وجهة نظره من خلال هذه التقنية، فيذهب إلى أن المرء إذا لم يحصل على السعادة من جدّه في السعي فإنه لن يبلغ الغاية من جدّه، وحنة التبادل هنا علامة سيميائية على الاجتهاد والعمل .

(١) استراتيجيات الحجاج . ٤٨٦ .

(٢) استراتيجيات الحجاج . ٤٨٦ .

(٣) ديوان المتنبي : ٣٥٢ .

(٤) ديوان البارودي : / ١٤٣ .

(٥) أشيرُ هنا إلى الفرق بين دلالتَي جَدِّ ، و جِدِّ ، ف جِدِّ بالفتح تعني الحظ ، و جِدِّ بالكسر تعني الاجتهاد والعمل .

وتكمن أوجه التشابه بين الخطابين من خلال المقارنة المعقودة في أنها
يشاركان في مضمون الخطاب وهو السعي بجهد، لكن الاختلاف يكمن في أن السياق في
خطاب المتنبي يتحدث عن الممدوح / الخليفة، أما السياق في خطاب البارودي فهو
يتحدث عن الذات الشاعرة فيجعل غايته من السعي هو الاستفادة منه؛ لذا تحول
المعنى من تأكيد الانتفاع في الخطاب التراثي إلى الاجتهاد والعمل في خطاب البارودي.
وفي مثال آخر يقول المتنبي^(١):

٢٨- وَمَا الْجُمُعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ فِي يَدِي بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا
يلجأ المتنبي في هذا البيت إلى تقنية الحجاج بالتبادل بين صعوبة (الجموع بين
الماء والنار) وصعوبة (الجموع بين الجد والفهم)، فالمتنبي يرى بأنه يملك الفهم والمعرفة
لكنه لا يستطيع أن يملك الحظ فهو من الله تعالى، وهنا تكمن الصعوبة في الجمع بينهما
(بين الفهم والمعرفة من جهة وبين الحظ والتوفيق)؛ ولهذا كان ذلك يساوي الجمع بين
الماء والنار، بل هو أصعب، ويحاول من خلال تقنية حجاج التبادل إقناع المتلقي
بجدوى وجهة نظره، وحجة التبادل هنا علامة سيميائية على الإحساس بالألم والحزن.
وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٢):

١١- وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْجِسْمُ فِي ظِلِّ رُوحِهِ وَلَا الْمَوْتُ إِلَّا الرُّوحُ فَارَقَتْ الْجِسْمَا
يلجأ شوقي في هذا البيت إلى نفس تقنية الحجاج بالتبادل بين (ما العيش إلا
الجسم في ظل روحه) وبين (الموت إلا الروح فارقت الجسم)، فشوقي يعكس تصوره
نحو ضدية الموت والحياة، فالحياة ما هي إلا بقاء الجسم في ظل الروح، والموت هو
الروح عندما تفارق الجسم، فهو يحاول من خلال هذه التقنية إقناع المتلقي بجدوى هذا
التصور لفكرة الحياة والموت، وحجة التبادل هنا علامة سيميائية على الإحساس بالفناء
والغياب.

وتتمثل أوجه التشابه بين هذين الخطابين في اشتراكهما في وقوع فعل التقنية
الحجاجية على الذات الشاعرة، المتنبي يستصعب الجمع بين الفهم والجد وبين الماء
والنار، وشوقي يتصور الموت والحياة في بقاء أو مفارقة الروح للجسم، أما أوجه
الاختلاف بينهما فتكمن في أن السياق في الخطاب الأول يتحدث عن أشياء محسوسة،

(١) ديوان المتنبي : ١٧١ .

(٢) الشوقيات : ٥٤٩ .

أما السياق في الخطاب الثاني فيتحدث عن أشياء معنوية؛ لذا تحول المعنى من بالألم والحزن في الخطاب التراثي إلى الإحساس بالفناء والغياب في الخطاب الإحيائي.

ثانياً / الحجاج البلاغي :

تتمثل في استعمال الأوجه البيانية كاستعارة، والتشبيه، والمبالغة، والطباق بوصفها آليات بلاغية تُسهم في الإمتاع والتأثير، بالإضافة إلى وظيفتها الحجاجية كونها تعبر عن الحجج بطريقة مركزة تجعلها أكثر تأثيراً وإصابة^(١) واستغلال ما فيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه من خلال وظيفتها الإخبارية.

وهذه الآليات البلاغية لها القدرة على حمل المخاطب على التمعن فيها، فهي تعطف القلوب النافرة، وتؤنس القلوب المستوحشة، وتلين بها العريكة الأبية المستصعبة، ويبلغ بها الحاجة، وتقام بها الحجة، فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتثير حفيظته^(٢).

ومن أهم الآليات البلاغية ما يلي :

• الاستعارة :

يُعد مفهوم الاستعارة الحجاجية مفهوماً متقدماً في البلاغة الجديدة من حيث إدراجها « ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه المتلقي إلى وجهة للخطاب محدّدة ومن ثمة تحقيق أهدافه الحجاجية »^(٣)، فهي تُعد من أقوى وسائل التبليغ بسبب ما توفره للمتكلم من طاقة حجاجية يستطيع أن يقنع بها المخاطب، ومن هنا تكتسب الاستعارة حجاجيتها .

وتُعرف الاستعارة الحجاجية «بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي»^(٤)؛ لذلك يفضل المخاطب استعمالها في خطابه الحجاجي؛ لثقتته بأنها أبلغ من الحقيقة حجاجياً في تحقيق الاقتناع، وتقويم الواقع والسلوك من خلال ارتكازها على المستعار منه.

(١) استراتيجيات الخطاب : ٤٥٦ .

(٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين . ضبطه وصححه وخرّج آياته : لجنة تحقيق بإشراف عبد المحسن سليمان عبد العزيز، القاهرة : المكتبة التوفيقية ، ط : ١ ، ٢٠١٣ : ٤٦ .

(٣) الدردي ، سامية . الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه . الأردن : عالم الكتب الحديث ، ط : ٢ ، ١٤٣٢ : ٢٦٧ .

(٤) أوكان ، عمر . اللغة والخطاب . الدار البيضاء : أفريقيا الشرق ، ٢٠٠١ ، ص : ١٣٤ .

وتدخل الاستعارة ضمن الآليات الحجاجية التي تؤدي عدة وظائف في العملية التخاطبية، وعملية الفهم والتأويل بين المتكلم والسامع، فهي - آلية الاستعارة - لا تقف في القول الحجاجي عند حدود التمثيل أو المشابهة بين فكرتين أو موضوعين بل قد تحول البناء الحجاجي بكامله إلى بناء استعاري يستدعي فيه المعنى الأول ثانياً اعتماداً على المقومات الأساسية في العملية الحجاجية التي تُشكل إلى جانب الآليات الأخرى كاللسانية والتداولية هيكل الخطاب الحجاجي^(١)، إذن الاستعارة مكون أساسي في عملية إقناع والتأثير على المخاطب.

وتكمن حجاجية الاستعارة - حسب وجهة نظر الشهري - في تدخل آليتي الادعاء والاعتراض، وذلك عن طريق الرضا بشروط كل من المخاطب والمخاطب، وبلورتها في الذوات الأربع، فالوظيفة الحجاجية للذات المضمره هو إدعاء المعنى المجازي للخطاب، أي المباشرة بين المستعار له والمستعار منه، بينما يكمن دور الذات المبلغة في الاعتراض على هذه المباشرة بإنكارها؛ لأن المعنى المبلغ هو الأولى بالظهور من المعنى الحقيقي غير المبلغ^(٢).

وركز طه عبد الرحمن على مبدأ المقاربة التعارضية للاستعارة من خلال الافتراضات التالية^(٣):

- ١- القول الاستعاري قول حوارِيّ، وحواريته صفة ذاتية له .
 - ٢- القول الاستعاري قول حجاجي، وحواريته من الصنف التفاعلي .
 - ٣- القول الاستعاري قول عمليّ، وصفته العلمية تُلازم ظاهره البياني والتخييلي .
- وقد وظّف مايير في تحليل القول الاستعاري في الحجاج مفهومين أساسيين هما : الضمني والمصرح به، فالمصرح به هو ظاهر السؤال في القول أما الضمني فهو كل الإمكانيات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد، وفي هذا الجانب بالضبط يرتبط الحجاج بالاستعارة^(٤)، ومن خلال ما سبق يتضح لنا حجاجية الاستعارة بالدرجة الأولى، واختلافها عن الاستعارة الشعرية التي لا تهدف إلى شيء خارج عن ذاتها^(٥).

(١) عندما نتواصل نغير : ١٢٢ .

(٢) استراتيجيات الخطاب : ٤٩٦ .

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٣١٠ .

(٤) عندما نتواصل نغير : ١٢١ .

(٥) أو كان ، عمر . اللغة والخطاب . الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠١ : ١٣٣ .

إلا أنه يمكن القول بأن السمات الحجاجية للاستعارة لا تتعارض مع سماتها الجمالية حسب وجهة نظر سامية الدريدي التي تذهب إلى أن الجمال متى رُفد الحجاج أضحى الخطاب أكثر إقناعاً وأقدر على اقتحام عالم المتلقي وتغييره، إلا أن الفرق بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة الجمالية يكمن في أن الاستعارة الحجاجية تزداد قدرة على التأثير كلما بدت عفوية مثل الاستعارة القائمة على مبدأ أفضلية الجوهر بحيث تكتسب قوة البداهة، أي أنها تحتاج إلى الظهور بمظهر البداهة العقلية فكأن الكلام يستدعيها ضرورة ويقتضيها اقتضاءً بشكل عفوي لا تصنع فيه ولا تكلف. أما الاستعارة الجمالية فتحتاج إلى الجهر بآثارها كذلك وإلى لفت انتباه المتلقي ومفاجأته إدهاشه بندرتها^(١)، والخطابات الشعرية تنزع إلى كلا النوعين من الاستعارة بحسب قصد المتكلم.

ومن أمثلة الاستعارة الحجاجية في الخطاب الشعري قول أبو البقاء الرندي^(٢):

٤- يُمَزِقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتَ مُشْرِقَاتٌ وَخُرُصَانُ

٥- وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنُ ذِي يَزَنَ وَالْغَمْدَ غُمْدَانُ

تتألف الاستعارة في هذين البيتين من (يُمَزِقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ / وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ)، وهي استعارة حجاجية؛ لأن الشاعر يصف من خلالها خيانة الدهر وعدم استقراره على منوال واحد، فبعد أن يسبح على الإنسان النعم ويحسسه بالأمن والأمان يغدر به ويمزق كل ما أعطى، ويُفني كل بناء في هذا الكون مهما كانت براعة تصميمه، وهذه الاستعارة الحجاجية علامة سيميائية تدل على الفناء والانتهاه.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٣):

١٣- مَرَرْتُ بِالمَسْجِدِ المَحْزُونِ أَسْأَلُهُ هَلْ فِي المَصَلَّى أَوْ المِحْرَابِ مَرَوَانُ

١٤- تَغَيَّرَ المَسْجِدُ المَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ عَلَى المَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعَبْدَانُ

تتألف الاستعارة في هذين البيتين من (المَسْجِدِ المَحْزُونِ أَسْأَلُهُ) و(تَغَيَّرَ المَسْجِدُ المَحْزُونُ)، وهي استعارة حجاجية؛ لأن الشاعر يصف من خلالها حال بلاد الشام عندما وقعت في أيدي الغاصب الفرنسي، فالمسجد الأموي يرمز إلى التناقض الحاد بين أمس قوي منتصر وحاضر منكوب ومغلوب، والمسجد الأموي هو من يدفع ثمن هذا

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : ٢٦٨-٢٦٩.

(٢) أبو البقاء الرندي : ١٣٤ .

(٣) الشوقيات : ٧٠١ .

الضعف والانكسار، فهو مسجد محزون تغير واختلف فيه كل شيء، وهذا التوظيف الحجاجي للاستعارة إنما يهدف إلى تماسك وتناصر الشعوب العربية، وهذه الاستعارة الحجاجية علامة سيميائية تدل على الانقلاب والتحول.

ومن خلال المقارنة بين الاستعارتين نجد أنهما يشتركان في العنصر المكاني الأندلس في خطاب أبي البقاء الرندي، وبلاد الشام في خطاب شوقي، كما يشتركان في التحول والانتقال من حال القوة والنعمة إلى حال الضعف والزوال، أما أوجه الاختلاف فتكمن في السياق الاستعاري، حيث يتحدث سياق الاستعارة في خطاب أبي البقاء الرندي عن فجائع الدهر وحوادثه في بلاد الأندلس، أما السياق الاستعاري في خطاب شوقي فهو يتحدث عن وضع المسجد الأموي في بلاد الشام؛ لذا تحول المعنى من الفناء والانتهاه في الخطاب التراثي إلى معنى الانقلاب والتحول في الخطاب الإحيائي.

وفي مثال آخر يقول أبو العلاء المعري^(١):

١٦- ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الْجِسْمُ فِيهَا وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

تألف الاستعارة في هذا البيت من (ضَجَعَةُ الْمَوْتِ) وهي استعارة حجاجية؛ لأن الشاعر يصف من خلالها صفة وهيئة الموت، فهو يصور الموت بأنه مجرد رقدة يستريح فيها الجسد من العيش الذي يسبب الأرق والتعب، وهذه الاستعارة الحجاجية علامة سيميائية تدل على الرفق والدعة.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٢):

٤- كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانًا وَطَوْتُ مِنْ مَلَاعِبِ وَجِيَادِ

٥- وَالْغُبَارُ الَّذِي عَلَى صَفْحَتَيْهَا دَوْرَانُ الرَّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ

تألف الاستعارة في هذين البيتين من (كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانًا وَطَوْتُ مِنْ مَلَاعِبِ وَجِيَادِ) و(وَالْغُبَارُ الَّذِي عَلَى صَفْحَتَيْهَا دَوْرَانُ الرَّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ) وهي استعارة حجاجية؛ لأن الشاعر يصف من خلالها فكرة الحياة والموت، فالأرض عبارة عن كرة ترمي بأجساد البشر وتطوي صفحاتهم في الحياة، والغبار المنتشر على صفحاتها ناتج عن دوران الرحى/الموت على هذه الأجساد، وهذه الاستعارة الحجاجية علامة سيميائية تدل على الوحشية والفتك.

(١) سقط الزند: ٨.

(٢) الشوقيات: ٢٥٢.

ومن خلال المقارنة بين الاستعارتين نجد أنهما يشتركان في وصف فلسفة الموت، إلا أن هذه الفلسفة تختلف من وجهة نظر الشعارين، ففي خطاب أبي العلاء المعري يتحول الموت إلى مجرد رقدة يستريح فيها الجسم، أما في خطاب شوقي فالموت هو عبارة عن كرة ترمي البشر ورحى تطحن أجسادهم، لذا تحول المعنى من الرفق والدعة في الخطاب التراثي إلى معنى الوحشية والفتك في الخطاب الإحيائي.

• البديع:

تتعامل البلاغة القديمة مع الآليات البديعية في الخطابات الأدبية بوصفها أشكالاً لغوية يقف دورها عند « الوظيفة الشكلية التي تستهدف التحسين والزخرفة »^(١)، لكن البلاغة الجديدة تتعامل مع الأشكال البديعية بوصفها آليات حجاجية تتميز بدورها الرئيس في عملية إقناع المخاطب والتأثير فيه، ذلك أنها تتحكم في بناء الخطاب، وتقوم بدور هام في عمليات التفريق والإثبات والإلحاق من أجل الإفهام؛ لذا فإن مجيئها في خطاب ما ليس من قبيل الزخرفة؛ وإنما من أجل الإبلاغ والتبليغ^(٢).

فالمحسنات البديعية التي تؤدي دوراً في تغيير زاوية النظر، وينتج عن استعمالها استمالة المخاطب يمكن تصنيفها ضمن المحسنات الحجاجية^(٣). ومن أهم تلك المحسنات والأشكال البديعية التي يلجأ المخاطب إلى استعمالها في خطابه، وتُصنف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى الحجاجي هي المقابلة، والجناس، والطباق وغيرها من الأشكال البديعية.

١. الكناية:

تُعد الكناية أيضاً من الأساليب الحجاجية التي يوظفها المحاجج للاحتجاج لقضية ما عن طريق الرمز الذي تنشئه، ومحاولة « المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه »^(٤)، إنما هو من باب الاحتجاج المرتبط بأهداف ومقاصد وغايات حجاجية في الخطاب، ومن خلال ذلك ترتبط الكناية بالحجاج الذي يُميزها عن الصورة الكنائية في فصل الصورة الشعرية.

(١) العشاوي، عبد الجليل. الحجاج في الخطابة النبوية. إربد: عالم الكتب الحديث، ط: ١، ٢٠١٢، ص: ١٥٦.

(٢) استراتيجيات الخطاب: ٤٩٨.

(٣) التداولية والحجاج: ٥١.

(٤) دلائل الإعجاز: ٦٦.

ومن أمثلة حجاجية الكناية قول أبي البقاء الرندي^(١):

١٥-دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له هوى له أحدٌ وانهدَّ ثهلانُ

تكمن الأطروحة الحجاجية في جملة (دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاءَ له) وهي كناية عن سقوط الأندلس بسبب تقاعس أهلها وتربص الكفار بهم، ونتيجة لعظم هذا الأمر وفضاعته سقط جبل أحد في مكة وجبل ثهلان في نجد، والكناية الحجاجية علامة سيميائية تدل على التشتت والفرقة.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٢):

٤١- وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْفُصْحَى بَنُو رَجِمٍ وَنَحْنُ فِي الجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ

تكمن الأطروحة الحجاجية في جملة (وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْفُصْحَى بَنُو رَجِمٍ) و(نَحْنُ فِي الجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ) وهي كناية عن الوحدة الإسلامية والتضامن الأخوي، وهذا الاقتران بين اللغة والتاريخ إنما هو من باب استنهاض الحس العربي المشترك، والكناية الحجاجية علامة سيميائية تدل على التكاتف والإحساس المشترك. ومن خلال عقد المقارنة بين الكنيتين نجد أنها تشتركان في الحديث عن الوضع السياسي للبلاد العربية والإسلامية، لكنهما تفرقان في السياق الكنائي ففي الخطاب الأول يتحدث السياق الكنائي عن هول سقوط الأندلس نتيجة تحاذل المسلمين، أما السياق الكنائي في الخطاب الثاني فيتحدث عن الوحدة العربية والإسلامية؛ لذا تحول المعنى من التشتت والفرقة في الخطاب التراثي إلى التكاتف والإحساس المشترك في الخطاب الإحيائي.

٢. الثنائيات الضدية:

أ-المقابلة:

تكثر المقابلة بين الأضداد، ويتحول الطباق إلى مقابلة عندما يتجاوز ضدين، ومن وظائف المقابلة أنها تمد المتلقي باحتمالات الخطاب حتى يتبينها جميعاً، ويميز بينها، ثم يختار ما يوافق قناعته، فهي تضع السامع في موقع المطلع على شتى زوايا الطرح

(١) أبو البقاء الرندي: ١٣٦.

(٢) الشوقيات: ٧٠٢.

المعروض عليه»^(١)؛ لذا فهي تدخل ضمن التقنيات الحجاجية التي يعتمد إليها المتكلم في خطابه .

ومن أمثلة المقابلة قول البحري^(٢):

٩- كَأَنَّ اللَّيَالِيَّ أُغْرِيتْ حَدَائِمُهَا بِحُبِّ الَّذِي نَأبَى، وَكُرَّهُ الَّذِي نَهَوَى
البنية الحجاجية تكمن بين جملتي (حُبِّ الَّذِي نَأبَى) و(وَكُرَّهُ الَّذِي نَهَوَى)
فالجمع بين هذه المعاني المتضادة خدَم حجة ضجر الشاعر وقلقه من تسلط الليالي
وإرغامها له في حب من يكرهه، وكره من يحب، وهذه المقابلة الحجاجية علامة سيميائية
تدل على التسلط والجبروت.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٣):

تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَتَوَى
البنية الحجاجية تكمن بين جملتي (عَاشِقٍ يَحْيَا) و(عَاشِقٍ يَتَوَى) والجمع بين
المعاني المتضادة خدَم حجة واحدة وهي شدة جمال الفاتنة، وهذه المقابلة الحجاجية
علامة سيميائية تدل على العجز والتسليم.

ومن خلال المقارنة بين المقابلتين نجد أنهما تلتقيان في وقوع الفعل على الذات
الشاعرة، ووقوع فعل الحب والكره على البحري، ووقوع الحياة والموت على البارودي،
وتفترق المقابلتان في السياق ففي الخطاب الأول يتحدث عن الحب والكره وهي أشياء
معنوية محسوسة، أما السياق في الخطاب الثاني فيتحدث عن الموت والحياة؛ لذا تحول
المعنى من التسلط والجبروت في الخطاب التراثي إلى العجز والتسليم في الخطاب
الإحيائي.

ب-الطباق:

الطباق هو الجمع بين متضادين أو معنيين متقابلين في الملفوظات، و«المطابقة
في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت
من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد»^(٤).
وهو كالمقابلة يؤدي دورًا حجاجيًا بارزًا .

(١) الحجاج في الخطابة النبوية: ١٥٧.

(٢) ديوان البحري: ٣٤٩.

(٣) ديوان البارودي: ١ / ١٩.

(٤) الصناعتين: ٢٨٣.

ومن أمثلته قول ابن زيدون^(١):

٤١- **أَمَّا هَوَاكِ فَلَمْ نَعِدْ بِمَنْهَلِهِ شَرِبًا، وَإِنْ كَانَ يُرْوِينَا فَيُظْمِينَا**

البنية الحجاجية تكمن في مفردتي (يُرْوِينَا وَيُظْمِينَا) فالشاعر جمع بين هذه المعاني المتضادة خدم حجة واحدة أكدت (ازدياد العطش كلما ازداد الشرب)، وتتجلى حجاجية هذا الطباق في إثبات التمسك بهوى المحبوبة على الرغم مما يتسبب فيه من عطش، وهذا الطباق الحجاجي علامة سيميائية تدل على تخوم الوجد والانكسار. وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٢):

٤٧- **وَنَابِغِي كَأَنَّ الْحَسْرَ آخِرُهُ تُمَيِّنُنَا فِيهِ ذِكْرَاكُمْ وَتُحَيِّنُنَا^(٣)**

يجمع شوقي بين مفردتي (تُمَيِّنُنَا وَتُحَيِّنُنَا)، وهذا الجمع بين تلك المعاني المتضادة فحجاجية هذا الطباق تتجلى في إثبات تعلق الشاعر بذكريات المحبوبة علامة سيميائية على المكابدة والشجن.

ومن خلال المقارنة بين الطباقيين نجد أنهما يلتقيان في وقوع الفعل على الذات الشاعرة ووقوع فعل الظماء والارتواء على ابن زيدون، ووقوع الحياة والموت على شوقي، ويفترق الطباقيان في السياق ففي الخطاب الأول يتحدث عن فعل الهوى، أما السياق في الخطاب الثاني فيتحدث عن فعل الذكرى؛ لذا تحول المعنى من تخوم الوجد والانكسار في الخطاب التراثي، إلى معنى المكابدة والشجن في الخطاب الإحيائي.

٣- التمثيل :

هو آية من الآليات الحجاجية التي يلجأ إليها المتكلم في خطابه، وذلك من خلال عقد الصلة بين صورتين ليمكن من الاحتجاج وبيان حججه^(٤). وتعلو قيمة التمثيل على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبداً، ومن ثم أُعتبر عاملاً أساسياً في الحجاج فهو ينطلق من التجربة بهدف افهام فكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جرياً على مبدأ الاستعارة^(٥).

(١) ديوان ابن زيدون : ٣٠٢ .

(٢) الشوقيات : ٦٨٢ .

(٣) نابغي : أي ليلة نابغية ، وليلة النابغة مشهورة في الأمثال وهي التي قال فيها : (وليل أفاقيه بطيء الكواكب) ، أي ليل يطول لكثرة الهموم .

(٤) استراتيجيات الخطاب : ٤٩٧ .

(٥) عندما نتواصل نغير : ٩٧ .

ويحدد (روبريو) مجموعة من الخصائص العامة للتمثيل يمكن إجمالها فيما يلي:^(١)

١- يركز التمثيل على استدعاء صور تحكي أحداثاً من أجل نقل أفكار مرجعية ذات قيمة رمزية .

٢- تقوم العلاقة في التمثيل على مماثلة تتحقق بين عناصر أو بنات تنتمي إلى مجالات مختلفة .

٣- يتجه التمثيل نحو مخيلة الإبداع ويتجاوز اللغة وحدود الواقع ويُفهم عن طريق تحريك الذهن، مما يتطلب معالجة دينامية وإبداعية .

٤- الأساس في التمثيل يكمن في العلاقة بين الموضوع والحامل (وجه الشبه - phore) وتوتر العلاقة بينهما .

وبما أن الخطاب الشعري لا يخلو من جملة من الأفكار والمبادئ والآراء التي يحاول الشاعر إقناع المتلقي بها فلا بد له أن يلجأ في محاولاته الإقناعية تلك إلى استعمال جميع الطرق والوسائل والآليات الحجاجية التي تمكنه من تحقيق هدفه والتي من ضمنها آلية التمثيل .

ومن أمثلتها في الخطاب الشعري قول المتنبي^(٢):

٢٨- تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتُ طَيْبَهُ وَمَا صَرَّرَنِي لِمَا رَأَيْتَكَ فَقَدُهُ

٢٩- لَقَدْ سَبَّ فِي هَذَا الزَّمَامِ كُهُولُهُ لَدَيْكَ وَسَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ

يُمثل المتنبي في البيت الثاني الكهولة بالشباب والفتوة في خلافة كافور، فالكهول في حسن سيرة وعدالة كافور صاروا شباباً، ويقاس عهد كافور بعهد غيره من الحكام فيجعل الأحداث وصغار السن شيئاً من ظلمه وسوء سيرته، والمتنبي استثمر المراحل العمرية في صناعة هذا التمثيل، فتخير منه صورة مناسبة لما يريد أن يحتج به .

وقد قاس المتنبي حال تحول الكهول إلى شباب في عهد كافور بحال تحول الشباب إلى كهول في عهد غيره بجامع الوقع والتحول في الطرفين، وهذا القياس يحمل المتلقي على التأثر والإقناع؛ لأنه ينطلق من فكرة عدالة كافور ورخاء عهده، وهي حجة دامغة لا يمكن ردها، أو التشكيك في مصداقيتها، والتمثيل هنا هو علامة سيميائية على الانتقال والتحول .

(١) عندما نتواصل نغير : ٩٧ .

(٢) ديوان المتنبي : ٣٠٢ .

وفي مقابل ذلك يقول البارودي (١):

٣٩- عَلَامٌ يَعِيشُ الْمُرءُ فِي الدَّهْرِ خَامِلًا أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ يَعُدُّهُ
٤٠- يَرَى الضَّمِيمَ يَغْشَاهُ فَيَلْتَدُّ وَقَعَهُ كَذِي جَرَبٍ يَلْتَدُّ بِالْحَكِّ جِلْدَهُ

يمثل البارودي على المرء الذي يتلذذ بوقع الظلم عليه بالأجرب الذي أصابه الجرب وأصبح يتلذذ بحكه، ويقيس البارودي حال المرء الذي يتلذذ بالظلم بحال الأجرب الذي يتلذذ بالحك، ويستثمر البارودي الموروث الشعبي في صناعة هذا التمثيل فتخبر منه صورة الأجرب وهي صورة تتناسب مع ما يريد أن يحتج به. وقد قاس البارودي حال المتلذذ بالظلم بحال المتلذذ بالحك، بجامع الإدماء والجرح في الطرفين، وهذا القياس يحمل المتلقي على التدبر والاعتبار ومن ثم التأثر والافتناع؛ لأنه ينطلق من فكرة التلذذ بالألم يؤدي إلى التسبب في إيذاء النفس، وهي حجة دامغة لا يمكن ردها، أو التشكيك في مصداقيتها، والتمثيل هنا هو علامة سيميائية على الاستمتاع والتلذذ.

وبالنظر إلى الآلية الحجاجية (التمثيل) في كلا الخطابين نجد أنها يتشابهان في العنصر الممثل به وهو العنصر البشري الشباب والكهول في خطاب المتنبي، والمرء في خطاب البارودي، بالإضافة إلى اعتماد الخطابين على تقنية القياس الحجاجية، إلا أن الخطابين يختلفان في العنصر الممثل وهو العنصر البشري في خطاب التراثي، والعنصر الحيواني في الخطاب الإحيائي مما أدى إلى تحول المعنى من الانتقال والتحول في خطاب البوصيري إلى الاستمتاع والتلذذ في خطاب البارودي.

وفي مثال آخر يقول البوصيري (٢):

١٨- والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمُهُ يَنْفَطِمِ

نلاحظ في هذا التمثيل أن البوصيري مثل للنفس التي تشيب على ما تشب عليه بالطفل الذي يسبَّ على حُبِّ الرضاعة إذا لم يتم فطمه، وقد استثمر البوصيري الموروث الشعري في صناعة هذا التمثيل فتخبر منه صورة مناسبة لما يريد أن يحتج به. وقد قاس البوصيري حال النفس التي تترك دون محاسبة بحال الطفل الذي يترك دون فطام، بجامع الإفراط في الطرفين، قياس يحمل المتلقي على التدبر والاعتبار، والتأثر، والافتناع؛ لأنه انطلق من فكرة عامة انعقد عليها إجماع الناس وهي (من شب

(١) ديوان البارودي: ١ / ١٤٤.

(٢) ديوان البوصيري: ٢٣٩.

على شيء شاب عليه)، وهي حجة دامغة لا يمكن ردها، أو التشكيك في مصداقيتها،
والتمثيل هنا هو علامة سيميائية على الاستسلام والخضوع.

يقول شوقي^(١):

٣٧- وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرَّتَعٍ وَخَمٍ
٣٨- تَطْعَى إِذَا مَكَّنَتْ مِنْ لَدَّةٍ وَهَوَى طَغَى الْجِيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكْمِ

يُمثل شوقي على طغيان النفوس وسورتها لإنتهاب ما يقع لها من اللذائذ
وإسرافها في أبواب هواها، بالجياذ إذا عضت على شكيمةها عندما تكون في غاية
هيجانها وثورتها، وقد استمد شوقي مادته من الطبيعة في صناعة هذا التمثيل فتخير منه
صورة ناسبة ما يريد أن يحتج به.

وقد قاس شوقي حال طغيان النفس وسورتها لانتهاب ما يقع لها من اللذائذ،
وإسرافها في أبواب الهوى بحال الجياذ التي تعض على الحديد المعضة في فمها من
اللجام حال ثورتها، بجامع الاندفاع بين الطرفين، قياس يحمل المتلقي على التدبر
والحذر، والتأثر والاعتناع؛ لأنه ينطلق من فكرة مفادها أن الهوى هو الدافع القوي لكل
طغيان، والتمثيل هنا هو علامة سيميائية على الانفعال والاضطراب.

وبالنظر إلى الآلية الحجاجية (التمثيل) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في
العنصر الممثل به وهو (النفس)، بالإضافة إلى اعتماد الخطابين على تقنية القياس
الحجاجية، إلا أن الخطابين يختلفان في العنصر الممثل وهو الطفل في الخطاب التراثي،
والجياذ في الخطاب الإحيائي مما أدى إلى تحول المعنى من الاستسلام والخضوع في
خطاب البوصيري إلى الانفعال والاضطراب في خطاب شوقي.

وآلية التمثيل هنا لا تُقيم علاقة تشابه بين عنصرين اثنين كالتشبيه، إنما تقوم
على تشابه في العلاقة، أي أن التشابه فيه بين علاقيتين: علاقة (أ) بـ (ب) من ناحية،
وبين علاقة (ج) بـ (د) من ناحية أخرى^(٢) بحسب العناصر في الأبيات.

ويمكن توضيح تشابه العلاقات في الخطاب التراثي بتمثيل النفس بالطفل
حيث (أ) هي النفس، و(ب) الإهمال، و(ج) الطفل، و(د) الرضاعة، وعلى هذا لا
يُحصل التمثيل بين النفس والطفل فحسب، بل هو حاصل بين (أ) النفس في علاقتها بـ
(ب) الإهمال، وبين (ج) أي الطفل في علاقته بالرضاعة. أما في الخطاب الإحيائي تمثيل

(١) الشوقيات: ٦١٢ .

(٢) الحجاج في القرآن الكريم: ٥٤٩ .

النفس بالجياذ حيث (أ) هي النفس، و(ب) اللذة والهوى، و(ج) الجياذ، و(د) العض على اللجام، فالتمثيل أيضًا لا يحصل بين النفس والجياذ فحسب، بل هو حاصل بين (أ) النفس في علاقتها بـ (ب) اللذة والهوى، وبين (ج) أي الجياذ في علاقتها بالعض على اللجام.

وهكذا يمكن القول إن العلاقة بين الصورتين في الخطابين هي علاقة بنيوية من السهولة بمكان المطابقة بين البنية (أ/ب) والبنية (ج/د) في كلا الخطابين. ونستنتج أنّ حاجية التمثيل تكمن في المعنى الضمني والمخفي الذي يستدعي الكشف وإمطة اللثام عنه، انطلاق المتلقي من عناصر الصورة حيث يكون مضمون هذا التمثيل عادة معلومة جديدة بالنسبة له، أو في حكم الجديد مما لا يمكن تمثله واستساغته في سهولة ويسر؛ إلا من خلال ما ينشأ من علاقات بين عناصر الصورة من مفهوم ضمني يُسمى (المحل الشاغر) والذي يُرمز له بالرمز (Ø)^(١).

(١) الحجاج في القرآن الكريم: ٥٥٥-٥٥٦.

ثالثاً / الحجاج الفلسفي (الآليات شبه المنطقية)

أ- الروابط الحجاجية :

تُعد الروابط الحجاجية علامات دلالية تتجاوز مضمون الخطاب الثابت من خلال تجاوزها لاستعمال نظام اللغة في الخطاب، والتواصل إلى فرض القيود الدلالية على التأويل التداولي في الخطابات^(١) الحجاجية.

ويقترح ديكرود مفهومًا حجاجيًا للروابط والأدوات الحجاجية بوصفه بديلاً للمفهوم التقليدي لها والذي يركز على وصف الأداة/ الرابط نفسه، وذلك من خلال البحث عن القيمة الحجاجية لذلك الرابط في الخطاب. وأكد على ضرورة التمييز بين الروابط الحجاجية (Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (Les operateurs)، فالرابط الحجاجي يربط بين قولين أو بين حجتين أو أكثر، فكل ملفوظ أو قول له دور محدد داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة في الخطاب الحجاجي، ومن هذه الروابط: (بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما...)، أما العامل الحجاجي فهو غير مرتبط بالمتغير الحجاجي أي لا يربط بين الحجة والنتيجة؛ إنما يحصر الإمكانية الحجاجية التي تكون لقول ما، ومن هذه العوامل: (ربما، كاد، إلا، وجل أدوات القصر)^(٢).

وميز أبو بكر بين أنماط عديدة من الروابط منها^(٣):

- ١- الروابط المدرجة للحجج منها: (حتى، بل، لكن، مع، لأن). والروابط المدرجة للنتائج منها: (إذن، لهذا، وبالتالي).
- ٢- الروابط التي تدرج حججاً قوية مثل: (حتى، بل، لكن، لاسيما).
- ٣- روابط التعارض الحجاجي مثل: (بل، لكن، مع ذلك). وروابط التساوق الحجاجي مثل: (حتى، لاسيما).

وقد قدم عبد القاهر الجرجاني تصوراً خاصاً بخصوص توظيف هذه الروابط توظيفاً حجاجياً حيث وجه الناظم إلى النظر في الحروف التي تشترك في معنى، إلا أنها تنفرد بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلاً من ذلك في معنى خاص، كأن يجيء بها في نفي الحال، وبلا إذا أراد نفي الاستقبال، ويضع الواو موضع الفاء، ويضع لكن موضع

(١) عندما تتواصل نغمة: ٨٢.

(٢) اللغة والحجاج: ٢٦-٢٧.

(٣) اللغة والحجاج: ٣٠.

بل^(١)، ويعكس هذا التصور البعد الحجاجي لتلك لروابط، ودورها في عملية الإقناع والتأثير .

ومن أمثلة الروابط الحجاجية في الخطاب الشعري ما يلي :

١- حتى :

تُعد من أدوات السُّلم الحجاجي حيث تؤدي حتى دورًا هامًا في الربط بين وحدتين أو مقولتين أو أكثر في إطار استراتيجية قولية واحدة^(٢)، توحيًا لنجاعة الخطاب. ويتمثل هذا الدور في ترتيب منزلة العناصر الحجاجية، ولسلمية معانيها واستعمالاتها، وأول استعمالاتها (حتى الجارة) التي تعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب^(٣)، وهي: «الأول : أن يكون ظاهرًا ... والثاني: أن يكون آخر جزء، أو ملاقي آخر جزء ... وأختلف في المجرور بعدها ... فذهب أكثر المتأخرين إلى أنه داخل فيما قبلها، لانتهاء العمل به أو عنده»^(٤).

أما ثاني استعمالاتها فهو ما يُعرف بـ(حتى العاطفة)، وللمعطوف بـ(حتى) شرطان: الأول أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه، والثاني: أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير^(٥).

ويُقر ديكرو وأنسكومبر بأن « الحجاج المربوبة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنها تُخدم نتيجة واحدة ، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المشتمل على الأداة حتى لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»^(٦)، ومن هنا ينبع دورها الحجاجي .
ومن أمثلة حجاجية (حتى) ، قول أبي تمام^(٧):

(١) الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط: ٣، ١٩٩٢ .

: ٦٤-٦٥ .

(٢) اللغة والحجاج : ٣٠ .

(٣) استراتيجيات الخطاب : ٥١٧ .

(٤) المرادي ، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق : فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط : ١ ، ١٤١٣ ، ص : ٥٤٣-٥٤٥ .

(٥) الجنى الداني في حروف المعاني : ٥٤٧-٥٤٨ .

(٦) اللغة والحجاج : ٧٣ .

(٧) ديون أبي تمام : ٦٣-٦٤ .

٤٨- أَجَبْتُهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا وَكَوَأَجَبْتَ بغيرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ
٤٩- حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْعَفِرًا وَلَمْ تُعْرِجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنْبِ

يمتدح الشاعر في هذين البيتين نجده الخليفة وإجابته للثغور الإسلامية التي أبيضحت وتمكن العدو منها حيث ساق الحجة الأولى والتي تتمثل في إجابة الخليفة لنداء الثغور الإسلامية بالسيف الذي لا تنفع الإجابة بغيره في هذا الموقف، ثم يسوق الشاعر بعد الرابط الحجاجي (حتى) الحجة الثانية المتمثلة في أن الخليفة قصد عمود الكفر وقصبتها وهي مدينة عمورية دون سائر القرى، وهذه الحجج تفضي إلى نتيجة واحدة وهي انصراف الخليفة عن التمتع بملذات الحياة وسعيه إلى تحرير الثغور التي أُسْتُبِحَتْ من قبل العدو، وهذه النتيجة هي العلامة السيمائية في خطاب أبي تمام.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي من (البيسط) (١):

٦٥- تُدَكِّرُ الْأَرْضَ مَا لَمْ تَنْسَ مِنْ زَبَدٍ كَالْمِسْكِ مِنْ جَنَابَاتِ السَّكْبِ مُنْسَكِبِ
٦٦- حَتَّى تَعَالَى أذَانُ الْفَتْحِ فَاتَّأَدَّتْ مَشْيَ الْمُجَلِّي إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْقَصَبِ

يسير شوقي في خطابه على نهج أبي تمام في استخدام الرابط الحجاجي (حتى)؛ ليستعرض حججه في هذين البيتين حيث ساق حجته الأولى التي تتمثل في تذكير الممدوح لأرض أزمير بنشوة النصر والزبد الذي كأنه مسك منسكب، ثم يسوق الشاعر بعد الرابط الحجاجي (حتى) الحجة الثانية المتمثلة في أن فتح مدينة أزمير في تركيا تعالی فكأن هذا الفتح يمشي مشي من حاز قصب السبق، وهذه الحجج تفضي إلى نتيجة واحدة وهي عظمة فتح مدينة أزمير، وهذه النتيجة هي العلامة السيمائية في خطاب شوقي.

وبالنظر إلى الرابط الحجاجي (حتى) في كلا الخطابين نجد أنها يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية الاستدلال من خلال ترتيب العناصر ترتيباً يُفْضِي إِلَى الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج له وهو العنصر البشري المعتصم بالله في خطاب أبي تمام، والقائد التركي أتاتورك في خطاب شوقي، بالإضافة إلى اعتماد الخطابين على تقنية التأثير والإقناع، إلا أن الخطابين يختلفان في الحجة بعد الرابط (حتى) فالحجة في الخطاب التراثي تتمثل في ترك الخليفة لعمود الشرك منعفراً، أما الحجة بعد الرابط في الخطاب الإحيائي تتمثل في علو الفتح في الأرجاء، مما أدى إلى تحول المعنى

(١) الشوقيات: ١٦٤ .

من التمتع بملذات الحياة والسعيه إلى تحرير الثغور في خطاب أبي تمام إلى عظمة الفتح
وتعالیه في خطاب شوقي.

وفي مثال آخر يقول عنتره^(١):

٨١- حَالَتْ رِمَاحُ بَنِي بَغِيضٍ دُونَكُمْ وَزَوَتْ جَوَانِي الْحَرْبِ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ

٨٢- وَلَقَدْ كَرَزْتُ الْمَهْرَ يَدْمَى نَحْرَهُ حَتَّى اتَّقَنْتِي الْخَيْلُ بِابْنِي حَذِيمِ

يستخدم عنتره الرابط الحجاجي (حتى) في حوار مع عبلة؛ من أجل إقناعها
بأسباب عدم زيارته لها، وقد جاء ليدرج حجة قوية تتمثل في أن الحرب بين عبس
وذبيان هي التي حالت دون زيارتها، فالشاعر يسوق الحجة تلوى الأخرى، ويصور
مدى شجاعته، وإصراره على قتال الأعداء، وكرّ حصانه الذي دُمّي صدره من الجراح،
والحجة الأقوى هي التي جاءت بعد الرابط الحجاجي/حتى وتتمثل في محاولة
أصحاب الخيل اتقاء الشاعر بجعل ابني حذيم بينهم وبينه، وهذه الحجج تفضي إلى
نتيجة واحدة هي شدة بأس وبسالة الشاعر في الحرب وهي العلامة السيميائية في
الخطاب.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

١٧- أَخْتَالُ طَوْرًا فَوْقَ ذُرْوَةِ مَنبَرٍ وَأَكْرُ طَوْرًا فَوْقَ مَهْدِ شَيْطَمِ

١٨- حَتَّى رِبَاتُ مِنَ الْمُعَالِي هَضْبَةً شَمَاءَ تُزَلِّقُ أَحْمَصَ الْمُتَسَنِّمِ

يستعير البارودي نفس الرابط الحجاجي (حتى) من خطاب عنتره؛ ليقنع المتلقي
أيضًا بشجاعته وفروسيته، فهو تارة يختال فوق ذروة منبر، وتارة أخرى تجده يكر على
عدوه، والحجة الأقوى هي التي جاءت بعد الرابط الحجاجي/حتى وتتمثل في ارتقاء
الشاعر واعتلائه على قمة الرفعة والشرف، وهذه الحجج تفضي إلى نتيجة واحدة هي
سعي الشاعر إلى اعتلاء قمم المجد والرفعة.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (حتى) في كلا الخطابين نجد أنهما
يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية الاستدلال من خلال ترتيب العناصر ترتيبًا
يُفضي إلى الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج له وهو العنصر البشري/الذات
الشاعرة في كلا الخطابين، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان
السياق يتحدث عن الذات الشاعرة ومحاولتها لزيارة المحبوبة وصد الأعداء عنها، أما

(١) ديوان عنتره: ٢٢٠-٢٢١.

(٢) ديوان البارودي: ٥٨٧/٣.

السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن اختيال الذات الشاعرة فوق المناير والحروب، مما أدى إلى تحول المعنى من شدة بأس وبسالة الشاعر في الحرب في خطاب عنتره إلى اعتلاء قمم المجد والرفعة في خطاب البارودي.
٢- لكن :

هو حرف مشبه بالفعل يفيد الاستدراك يتجاوز الدائرة النحوية الضيقة؛ ليقيم علاقة حجاجية بين المتكلم والمتلقي، وهذه الوظيفة الحجاجية مرتبطة بوضعية السياق التخاطبي، فقد تستعمل للحجاجية الإبطالية التي تعبر عن معنى التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها، أي يستدرك بها للنفي بالإيجاب، والإيجاب بالنفي^(١).
ومن أمثلتها قول الشريف الرضي^(٢):

٥٦- أَخَذْنَا عَلَيْهِمُ الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا وَرَاعِي نُجُومِ اللَّيْلِ حَيْرَانٌ مُغْرَبٌ
٥٧- فلو كان أمراً ثابتاً عقلوا له وَلَكِنَّهُ الْأَمْرُ الَّذِي لَا يُجْرَبُ

ترد لكن هنا بصورة حجاجية حيث يبدو التعارض الحجاجي بين ما تقدم الرابط وما تلاه، فالشطر الأول من البيت الثاني يتضمن حجة تخدم من قبيل (لو كان أمراً ثابتاً عقلوا له)، والشطر الثاني من البيت (الأمر الذي لا يُجْرَبُ) يتضمن حجة تخدم نتيجة من نمط (الأمر صعب)، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا- ن)، وهي علامة سيميائية تدل على غياب التجربة للأموال الحرب.

ويستعير البارودي نفس الرابط الحجاجي من خطاب الشريف الرضي؛ ليدحض ويناقض الحجة الأولى في البيت الذي يقول فيه^(٣):

٤٩- وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ
٥٠- وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا عَلَيْنَا وَأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبٌ

يلاحظ المتلقي أن البارودي استعار الرابط الحجاجي (لكن)؛ ليعقب ويستدرك الحجة الأولى في الشطر الأول وهي حجة تخدم من قبيل (لو عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَجَنَّبُ)، والبيت الثاني (الأقْدَارُ تَجْرِي بِحُكْمِهَا عَلَيْنَا وَأَمْرُ الْغَيْبِ سِرٌّ مُحَجَّبٌ) يتضمن حجة تخدم نتيجة من نمط (الأقْدَارُ مُحَجَّبَةٌ)

(١) الحجاج في اللغة : ٦٠.

(٢) ديوان الشريف الرضي : ٨٨.

(٣) ديوان البارودي : ٤٤/١ .

أو(الأقدار لا يعلمها إلا الله)، وبما أن الحجة الثانية أقوى من الحجة الأولى فإنها ستوجه القول بمجمله نحو النتيجة (لا-ن)، وهذه علامة سيميائية تدل على أن القدر هو العائق بين الشاعر وبين ما يطمح إليه.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (لكن) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية التأثير من أجل الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج له وهو (العنصر البشري) العدو في خطاب الشريف الرضي، والمرء في خطاب البارودي، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان السياق يتحدث عن العدو في حالة الحرب، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن المرء في حياته الطبيعية، مما أدى إلى تحول المعنى من غياب التجربة للأمور الحرب في خطاب عنتره إلى إعاقة القدر لطموحات المرء في خطاب البارودي .

وفي مثال آخر لرابط التعارض الحجاجي (لكن) يقول أبو نواس^(١):

١٥- فَمَيَّ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

١٦- فَمَا جَاذَهُ جُودٌ ، وَلَا حَلَّ دُونَهُ ، وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

الرابط الحجاجي (لكن) جاء في البيت الثاني بعد نفي حيث إن (صفة الجود لم تتجاوز الممدوح ولم تحل دونه) وهذه هي الحجة الأولى والحجة الثانية هي أن (صفة الجود توجد في المكان الذي يكون فيه الممدوح)، بمعنى أن النتيجة الحجاجية هي ملازمة صفة الجود للممدوح في حله وترحاله، وهي علامة سيميائية تدل على الملازمة والتبعية.

وبالنظر إلى خطاب البارودي نجده يستعير نفس الرابط الحجاجي، فيقول^(٢):

٦- وَمَا كُلُّ مَنْ خَافَ الْعُيُونَ يَرَاعَةً ۖ وَلَا كُلُّ مَنْ خَاصَّ الْخُتُوفَ جَسُورُ

٧- وَلَكِنْ لِأَحْكَامِ الْمُهْوَى جَبْرِيَّةٌ ۖ تَبُوحُ هَهَا الْأَنْفَاسُ وَهِيَ تَقُورُ

الرابط الحجاجي (لكن) في البيت الثاني أحدث تعارض حجاجي بين ما تقدمه من حجة في البيت الأول، ومفادها أنه ليس كل من خاف من العيون الحسان وما فيها من سحر وجمال هو إنسان جبان، وليس كل من خاض الموت والهلاك هو إنسان شجاع، وبين الحجة الثانية في البيت الثاني التي مفادها شدة وعظمة وجبروت أحكام

(١) ديوان أبي نواس : ٢١٠ .

(٢) ديوان البارودي : ٢٠-١٩/٢ .

الهوى التي تسكن لها أنفاس الخلق في شدة اضطرابها وفورانها، وهذه الحجة أقوى من سابقتها، وهي علامة سيميائية تدل على الانفعال والاضطراب.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (لكن) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية التأثير من أجل الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج له وهو (العنصر البشري) الخليفة في خطاب أبي نواس، والمرء في خطاب البارودي، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان السياق يتحدث عن كرم الممدوح، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن انفعالات الحب على الإنسان؛ مما أدى إلى تحول المعنى من الملازمة في خطاب أبي نواس إلى الانفعال والاضطراب في خطاب البارودي.

ومثال آخر لنفس الرابط الحجاجي (لكن) إذ يقول أبو فراس الحمداني^(١):

٣٨- أُسِرْتُ وما صحبي بعزلٍ، لدى الوغى ، ولا فرسي مهزٌّ، ولا رَبَّهُ غمُرُ
٣٩- ولكنْ إذا حمَّ القضاء على أمرىءِ فليس له بُرِّيقيه، ولا بحرُّ

الرابط الحجاجي (لكن) يربط بين الحجة الأولى في البيت الأول ومفادها بأن الشاعر لم يقع في الأسر لأن أصحابه لا يمتلكون السلاح، أو لأنه ليس بفارس وأن فرسه لم تتعود على خوض المعارك، وبين الحجة الثانية وهي أن القدر إذا نزل على الإنسان فليس هناك شيء يحميه ويقيه لا في البر ولا في البحر، وهذه الحجة أقوى من سابقتها، وهي علامة سيميائية تدل على اليأس والاستسلام للظروف.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

٢٥- فلا تحسبن المرأة فيها بخالدٍ ولكنَّهُ يسعى وغايته العُمُرُ

الرابط الحجاجي (لكن) يقع بين الحجة الأولى ومفادها بأن المرء ليس بخالدٍ في هذه الحياة الدنيا، وبين الحجة الثانية ومفادها بأن الإنسان يسعى في هذه الحياة وغايته فيها طول العمر، وهذه الحجة أقوى من الحجة الأولى التي جاءت قبل الرابط، وهي علامة سيميائية تدل على طول الأمل في الحياة.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (لكن) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية التأثير من أجل الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج له وهو (العنصر البشري) الذات الشاعرة في خطاب أبي فراس الحمداني، والمرء

(١) ديوان أبو فراس الحمداني: ١١٤.

(٢) ديوان البارودي: ٤٦/٢.

في خطاب البارودي، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان السياق يتحدث عن وقائع الحرب والأسر، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن السعي في الحياة، مما أدى إلى تحول المعنى من اليأس والاستسلام في خطاب أبي فراس إلى طول الأمل في الحياة في خطاب البارودي.
٣- ليس :

من أدوات السلم الحجاجي فبواسطتها يُصنف المتكلم حججه إلى أكثر من مستوى، ومن ثم إلى أكثر من قوة، أقواهما هو ما بعد ليس^(١).
يقول أبو تمام^(٢):

٤- أَيْنَ الرَّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمَنْ كَذِبِ
٥- مَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلْفَقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا عَرَبٍ

الحجة في هذا البيت تكمن في قوله: (لَيْسَتْ بِنَبْعٍ) فهذه الافتراءات والادعاءات ليست بقوية ولا ضعيفة إنما هي معدومة ليس عندها خير ولا شر، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على العدم.

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٣):

٢٣- لِلتَّرِكِ سَاعَاتُ صَبْرٍ يَوْمَ نَكَبْتَهُمْ كُتِبْنَ فِي صُحُفِ الْأَخْلَاقِ بِالذَّهَبِ
٢٤- مَغَارِمٌ وَصَحَايَا مَا صَرَخْنَ وَلَا كُدِّرْنَ بِالْمَنِّ أَوْ أَفْسِدْنَ بِالْكَذِبِ
٢٥- بِالْفِعْلِ وَالْأَثَرِ الْمَحْمُودِ تَعْرِفُهَا وَلَسْتَ تَعْرِفُهَا بِاسْمٍ وَلَا لَقَبِ

الحجة في هذا البيت تكمن في (وَلَسْتَ تَعْرِفُهَا) فساعات صبر الأتراك عرفت بأفعالهم وأثرهم المحمود، وليس بأسمائهم أو القابهم، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على التفرد والتميز.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (ليس) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية التأثير من أجل الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج به وهو (الشيء المعنوي) الرواية في خطاب أبي تمام، وساعات الصبر في خطاب شوقي، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان السياق يتحدث عن ادعاءات وروايات المنجمين، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث صبر

(١) استراتيجيات الخطاب : ٥٢٠.

(٢) ديوان أبي تمام : ٤٢.

(٣) الشوقيات : ١٦٣.

وتحمل الأثر، مما أدى إلى تحول المعنى من العدم في خطاب أبي تمام إلى التميز والتفرد في خطاب شوقي.

وفي مثال آخر للنفي بليس يقول عنتره^(١):

٥٦- فَشَكَّكَتْ بِالرُّمَحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ
الحجة في هذا البيت تكمن في (لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ)، فالكريم في القتل ليس محرم على السيوف، وهذه حجة قوية تصب في صالح الشاعر الذي يمتدح ويفخر فهو كريم حتى في القتل، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على عدم التعارض بين الكرم والقتل.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

٣١- فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي إِنْ فَخَرْتُ وَإِنْ أَكُنُّ لِأَعْرَ مِنْ سَلَفِ الْأَكَارِمِ أَنْتَمِي
٣٢- وَالْفَخْرُ بِالْأَبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِنْ كَانَتْ الْأَبْنَاءُ حُورَ الْأَعْظَمِ
الحجة في هذا البيت تكمن في (وَالْفَخْرُ بِالْأَبَاءِ لَيْسَ بِنَافِعٍ)، فالشاعر يفخر بنفسه لا بأبائه وإن كانوا من الغر الأكارم، ويؤكد على أن الفخر بالأبء ليس بنافع إذا كان الأبء ضعافاً، وهذه حجة قوية تصب في صالح الشاعر الذي يكتفي بفخره بنفسه، وهذه الحجة علامة سيميائية تدل على التعارض بين الافتخار بالأبء وضعف نفس المفتخر.

ومن خلال المقارنة بين الرابط الحجاجي (ليس) في كلا الخطابين نجد أنهما يتشابهان في التقنية الحجاجية وهي تقنية التأثير من أجل الإقناع، كما يتشابهان في العنصر المحتج به وهو الفخر بالذات، إلا أن الخطابين يختلفان في السياق ففي الخطاب التراثي كان السياق يتحدث عن عدم حرمة القتل على الكريم، أما السياق في الخطاب الإحيائي فيتحدث عن عدم افتخار الإنسان الضعيف بأبائه، مما أدى إلى تحول المعنى من عدم التعارض بين الكرم والقتل في الخطاب التراثي إلى التعارض بين الفخر بالأبء والضعف في خطاب شوقي.

ب- أسلوب القصر :

يدخل أسلوب القصر ضمن أدوات السلم الحجاجي والسبب في ذلك هو أن هذه الأدوات تأتي إثباتاً لما يُذكر بعدها ونفيًا لما سواها^(١)؛ لذا يلجأ المتكلم إلى

(١) ديوان عنتره : ٢١٠.

(٢) ديوان البارودي : ٣/٤٩٧-٤٩٨.

استعمال هذه الأدوات في خطابه للاحتجاج عن ما يريد. وأشهر أدوات القصر (إلا-
إنها - ما)، وسنمثل على الأداة الأولى لكثرة ورودها في خطاب شعر المعارضات دون
الأدوات الأخرى.

١- الأداة (إلا) :

يقول أبو فراس الحمداني^(٢):

٧- وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ لِأَحْرَفِهَا، مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا بِشْرُ

يُصنّف أبو فراس الحمداني بواسطة أداة القصر (إلا) حججه إلى أكثر من
مستوى، ومن ثمّ إلى أكثر من قوّة، وأقوّا في هذا البيت هو ما جاء بعد الأداة حيث
قصر الشاعر الأيام على كونها صحائف، وهذه حجة قوية له على أن الأيام مجرد شاهد
يرصد أفعال البشر، وهذه هي العلامة السيميائية.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٣):

٢٤- وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مَنَازِلٌ يَحُلُّ بِهَا سَفَرٌ وَيَتْرُكُهَا سَفَرٌ

أيضاً يُصنّف البارودي من خلال أداة القصر (إلا) حججه إلى أكثر من مستوى
وأكثر من قوّة، وأقوى حججه في هذا البيت هو ما جاء بعد الأداة حيث قصر الشاعر
الأيام على كونها منازل، وهذه حجة قوية له على أن الأيام مجرد محطة عبور في الحياة،
وهذه هي العلامة السيميائية.

وبالنظر إلى الخطابين نجد أنّهما يتشابهان في العنصر المقصور عليه والمحتج له
وهو مفردة (الأيام، كما يشتركان في نفس الرابط الحجاجي (إلا)، إلا أن الاختلاف
بينهما يكمن في نوع المقصور فالمقصور في الخطاب التراثي هو (صحائف) وهو شيء
محسوس، أما المقصور في الخطاب الإحيائي هو (منازل) وهي شيء غير محسوس؛ لذا
تحول المعنى من الرصد والتسجيل في الخطاب الأول إلى العبور والانتقال في الخطاب
الثاني.

وفي مثال آخر يقول ابن زيدون^(٤):

٢٧- كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَهْرًا فِي أَكْلَتِهِ ، بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَابِينَا

(١) استراتيجيات الخطاب : ٥٢٠.

(٢) ديوان أبي فراس الحمداني : ١١٢.

(٣) ديوان البارودي : ٤٦ / ٢.

(٤) ديوان ابن زيدون : ٣٠٠.

يُصنف ابن زيدون بواسطة أداة القصر (إلا) حججه إلى أكثر مستوى وقوة، وأقوى حججه في هذا البيت هو ما جاء بعد الأداة، حيث قصر الشاعر ظهور محبوبته للشمس على بعض الأحيان، وهذه حجة قوية له على رفاهية محبوبته وهي العلامة السيمائية .

وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(١):

٨٢- لو غاب كل عزيز عنه غَيَّبْنَا لَمْ يَأْتِهِ الشُّوقُ إِلَّا مِنْ نَوَاحِينَا

يُصنف شوقي أيضاً بواسطة أداة القصر (إلا) حججه في هذا البيت إلى أكثر مستوى وقوة، حيث جاءت حجته القوية بعد الأداة، فقصر الشاعر الشوق على نفسه، وهذه الحجة القوية المتمثلة في إخلاصه وحبه الشديد لوطنه هي العلامة السيمائية .
وبالنظر إلى الخطابين نجد أنّهما يتشابهان في العنصر المقصور عليه والمحتج له وهو (العنصر البشري)، المحبوبة في خطاب ابن زيدون، والذات الشاعرة في خطاب شوقي، كما يشتركان في نفس الرابط الحجاجي (إلا)، إلا أن الاختلاف بينهما يكمن في نوع المقصور فالمقصور في الخطاب التراثي هو الزمن (أحياناً)، أما المقصور في الخطاب الإحيائي هو المكان (نواحيننا)؛ لذا تحول المعنى من الرفاهية والدلال في الخطاب الأول إلى الإخلاص والحب الشديد في الخطاب الثاني.

ت-التوكيد :

يُعد التوكيد من الآليات شبه المنطقية التي تُجسد السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية حيث تترتب درجاته لغوياً عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد؛ طبقاً لثلاث سياقات، كما يصنفها السكاكي^(٢):

- ١- الخبر الابتدائي .
- ٢- الخبر الطلبي .
- ٣- الخبر الإنكاري .

فالمرسل لا يستعمل في الخبر الابتدائي أي نوع من أنواع التوكيد؛ لأن المرسل إليه خالي الذهن من أي حكم سابق، إذ يكفي لذلك ما يعلمه من أن المرسل واثق من

(١) الشوقيات : ٦٨٤ .

(٢) مفتاح العلوم : ٥١ .

صدق خطابه^(١)، فالتكلم لا يلجأ إلى أدوات التوكيد إلا إذا كان المخاطب في حالة من التردد أو الإنكار أو غيره.

ومن أهم أدوات التوكيد التي يلجأ إليها المتكلم (إنَّ، أنَّ، لام التوكيد، قد، أما)، ومن أمثلتها قول النابغة^(٢):

٢٤- ولقد أصاب فؤاده من حُبها عن ظهر ميزانٍ بسهم مُصرِدٍ

أداة التوكيد في هذا البيت هي (لقد) وقد دخلت على الفعل الماضي (أصابت)، وهذا تأكيد على إصابة الغانية لقلب النابغة التي يصفها بسهم الحب (أي وقع حبها في قلبه)، وهي حجة قوية تدل على شدة جمال وحسن تلك الغانية، وهي علامة سيميائية تدل على التمكن والاستيلاء.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٣):

٤٣- ولقد شربتُ الخمرَ بينَ غطارِفِ شُمِّ المعاطِسِ كَالغُصُونِ المَيِّدِ

أداة توكيد في هذا البيت هي (لقد) دخلت على الفعل الماضي (شربتُ)، وأكدت فعل شرب الخمر من قبل الشاعر وهو بين السادة الشرفاء، وهي حجة قوية تدل على شرف وسيادة البارودي، والعلامة السيميائية هنا تدل على السيادة والشرف.

وتكمن أوجه التشابه بين الخطابين في أنهما يشتركان في نفس أداة التوكيد (قد)، وفي وقوع فعل الإصابة والشرب على الذات الشاعرة، إلا أن الاختلاف بينهما يكمن في السياق فالخطاب التراثي يتحدث سياقاً عن حب الشاعر للغانية، أما السياق في الخطاب الإحيائي فهو يتحدث عن شرب الشاعر للخمر؛ لذا تحول المعنى من التمكن والاستيلاء في الخطاب الأول إلى السيادة والشرف في الخطاب الثاني.

ب-الصيغ الصرفية:

تعد الصيغ الصرفية من الآليات التي يُجسدها السلم الحجاجي في العملية الحجاجية حيث تمكن المتكلم من بناء السلم الحجاجي الذي يُفضي إلى حجة معينة، وتدخل هذه الصيغ ضمن الآليات شبه المنطقية، ومن أمثلتها ما يلي:

(١) استراتيجيات الخطاب: ٥٢٣-٥٢٤. ولزيد من الشروح يُنظر نفس الصفحات.

(٢) ديوان النابغة: ٩٤.

(٣) ديوان البارودي: ١٥٥/١.

قول البحري^(١):

١٠- وَمَنْ يَعْرِفِ الْأَيَّامَ لَا يَرَّ خَفْضَهَا نَعِيمًا، وَلَا يَعْدُدُ تَصَرَّفَهَا بَلْوَى
الصيغة الصرفية في هذا البيت هي (تَصَرَّفَهَا)، وهي صيغة صرفية على زنة
تَفَعَّلَ بمعنى فعل، هذه الصيغة تُحِيلُنَا على عظيم فعل الأيام في البشر لمن لا يعرفها،
وهي علامة سيميائية تدل على ضعف البشر أمام الأيام.

وفي مقابله يقول البارودي^(٢):

كَفَى بِأَهْوَى شُغْلًا عَنِ اللَّوْمِ بِأَمْرِي بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمَطَرْتُ عَيْنَهُ الْبَلْوَى
الصيغة الصرفية في هذا البيت هي (اسْتَمَطَرْتُ) صيغة صرفية على زنة استفعل
بمعنى فعل، وهذه الصيغة تُحِيلُ على عظيم فعل الهوى في المرء حيث لم تجعل عينه تَطْرُ
البلوى/ الدموع، بل إنها بالغت في الاستمطار، وهي حجة داحضة وقوية، كما أنها
علامة سيميائية تدل على ضعف المرء أمام الهوى.
وبمقارنة الخطابين نجد أن أوجه التشابه بينهما تكمن في نفس وزن الصيغة
الصرفية/فعل، وأيضًا في نتيجة الصيغة/البلوى في كلا الخطابين، أما أوجه الاختلاف
فتكمن في أن الصيغة الصرفية في الخطاب التراثي خاصة بالأيام ووقعها على البشر، أما
الصيغة الصرفية في الخطاب الإحيائي فهي خاصة بالهوى ووقعه على الذات الشاعرة،
مما أدى إلى تحول المعنى من ضعف البشر أمام الأيام في خطاب البحري إلى ضعف المرء
أمام الهوى في خطاب البارودي.

وفي مثال آخر يقول أبو العلاء المعري^(٣):

٤٠- وَتَوَخَّى لَهُ النَّجَاةَ وَقَدْ أُيِّقِنَ أَنَّ الْحِمَامَ بِالْمِرْصَادِ
الصيغة الصرفية في هذا البيت هي (تَوَخَّى) وهي صيغة على زنة تَفَعَّلَ بمعنى
فعل، وهذه الصيغة تُحِيلُ على عظيم المحاولة في النجاة من الموت، وهي حجة قوية
تصف بأن الموت لا يمكن النجاة منه لأنه النهاية الحتمية للبشر، كما أنها علامة سيميائية
تدل على طول الأمل في الحياة.
وفي مقابل ذلك يقول شوقي^(٤):

(١) ديوان البحري: ٣٤٩.

(٢) ديوان البارودي: ٢١ / ١.

(٣) سقط الزند: ١١.

(٤) الشوقيات: ٢٣٥.

٢٧- انظروا هل ترون في الجمع مصرًا حاسرًا قد تجللت بسوادٍ

الصيغة الصرفية في (تجللت) وهي على زنة تفعّل بمعنى فعل، وهذه الصيغة تُحيل على عظيم الحزن الذي أصاب مصر بموت محمد فريد بك، وهي حجة قوية تصف عظيم مكانة هذا الفقيه في مصر لدرجة أنها تغطت بالسواد، كما أنها علامة سيميائية تُحيل على الفقد والجزع .

وبمقارنة الخطابين نجد أن أوجه التشابه بينهما تكمن في نفس وزن الصيغة الصرفية تفعل التي جاءت بمعنى فعل، وأيضًا في النتيجة الحتمية/الموت في كلا الخطابين، أما أوجه الاختلاف فتكمن في أن الصيغة الصرفية في الخطاب التراثي خاصة بالعنصر البشري ووقع الموت عليه، أما الصيغة الصرفية في الخطاب الإحيائي فهي خاصة بالعنصر المكاني/مصر ووقع الحزن عليها؛ مما أدى إلى تحول المعنى من طول الأمل في الحياة في خطاب أبي العلاء المعري إلى الفقد والجزع في خطاب شوقي .

وفي مثال آخر لصيغة صرفية وهي صيغة المبالغة (فعول) يقول أبو نواس^(١):

٣٧- جوادٌ إذا الأيدي كففن عن الندى ، ومن دون عورات النساء غيورٌ

الصيغة الصرفية هي (غَيُورٌ) وهي صيغة مبالغة على زنة فعول، وهذه الصيغة تُحيل على افتخار الشاعر بغيرته الشديدة على عورات النساء، وهي حجة قوية تصب في مصلحة الشاعر، كما أنها علامة سيميائية تدل على الغيرة والاهتمام.

وفي مقابل ذلك يقول البارودي^(٢):

٥- ويَجْزَعُ قَلْبِي لِلصُّدُودِ وَإِنِّي لَدَى البَأْسِ إِن طَاشَ الكَمِيُّ صَبُورٌ

الصيغة الصرفية هي (صَبُورٌ) وهي صيغة مبالغة على زنة فعول، وتعكس هذه الصيغة مدى تحمل الشاعر وصبره على الشدة في الحرب، فهو يحتج لنفسه بأنه صبور إلى أقصى درجات الصبر في الأوقات التي يعجز البشر عن الصبر فيها، وهي علامة سيميائية تدل على قوة الصبر والتحمل.

وتعكس المقارنة بين الخطابين أوجه التشابه بينهما التي تكمن في استخدام نفس الصيغة الصرفية فعول، وفي وقوع الصيغة على الذات الشاعرة، ففي الخطاب الأول الغيور هو الحمداني، وفي الخطاب الثاني الصبور هو البارودي، أما أوجه الاختلاف فتكمن في نوع الصفة وهي صفة الغيرة التي تقترن بصفة الكرم والجود في الخطاب

(١) ديوان أبي نواس: ٣٦٦ .

(٢) ديوان البارودي: ١٩ / ٢ .

التراثي، أما الصفة في الخطاب الإحيائي فهي صفة الصبر التي تقترن بالصدود؛ لذا تحول المعنى من الغيرة والاهتمام في الخطاب التراثي إلى قوة الصبر والتحمل في الخطاب الإحيائي.

الوحدات الوظيفية لعناصر الحجاج في الشعر الإحيائي

تندرج النظرية الحجاجية ضمن تيار حديث في الأدبيات اللسانية الذي لا يعتبر الوظيفة التواصلية الإخبارية هي الوظيفة الأساسية والوحيدة للغة بل إنه يسند إليها دورًا ثانويًا^(١)، فالخطاب الحجاجي يخضع في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقي، وتبرز فيه مكانة القصديّة والتأثير والفعاليّة؛ لذا فهو يضطلع بعدة وظائف منها:

١- الوظيفة التعبيرية:

تتمحور حول المتكلم، حيث يُبلغ موقفه وشعوره تجاه حدث ما، وقد اضطلع خطاب شعر المعارضات بوظيفة تعبيرية تتمثل في أن الشاعر الإحيائي عبّر عن موقفه وشعوره تجاه الكثير من الأمور الأحداث السياسية، والاجتماعية، والحياتية، والشخصية، حيث نجده ميلاً إلى إبراز ذاته ومشاعره بما يتفق مع كل حدث من الأحداث السابقة.

فعلى سبيل المثال نجد البارودي يُعبر عن تجاربه وقصصه في الحب على منوال الشاعر التراثي، ويصف الجوانب النفسية الخاصة بتلك التجربة، والآثار الناتجة عنها، فالذكريات القديمة التي تجمع بينه وبين المحبوبة تعصف به بشدة حتى إنه ليقع ملقى بين أيدي العود والزائرين في قوله:

٢- تُلوي به الذُّكرات حتّى إنه ليظل ملقى بين أيدي العود

حيث وجه الشاعر هذا الخطاب إلى المتلقي للتعبير عن موقفه من تلك الذكريات، فيبرهن من خلال هذا التعبير على شدة تأثره بها، وهنا يتقاطع خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي، فهذا التعبير من قبل الشاعر لم يكن فعلاً إخبارياً معزولاً، بل كان فعلاً تواصلياً عضدته الحجة بغاية توضيح موقف الشاعر من هذه التجربة.

٢- الوظيفة التأثيرية:

تدور هذه الوظيفة حول المتلقي وقد اتخذت بعدين في خطاب شعر المعارضات هما: طلب التأثير في الآخر، والثاني طلب التأثير في المتلقي، فإذا استعرضنا على سبيل المثال خطاب شوقي الذي عارض به أبا البقاء الرندي، نجد أنّ الشاعر بدأ في البعد الأول مشحوناً بالرغبة في التأثير في الآخر/أبناء الشام، حيث بدأ صياغة حججه من أجل التأثير فيه، وتتلخص هذه الحجج في قوله:

(١) الحجاج في اللغة : ٩.

وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْفُصْحَىٰ بَنُو رَجِمٍ وَنَحْنُ فِي الجُرْحِ وَالْأَلَامِ إِخْوَانُ
الدعوى إلى وجوب التضامن والوحدة الإسلامية فالرابط بين تلك الشعوب
يتمثل في اللغة والتاريخ وهو من أقوى الروابط التي تدعو إلى تلك الوحدة.
أما التأثير في المتلقي فيظهر لنا سعي الشاعر الإحيائي نحو استمالة وتحويله
من حال إلى حال، كتحويله من دائرة الحياد إلى دائرة التفاعل، من خلال استنهاض
الحس العربي المشترك وتفاعله حيال القضايا الإسلامية والعربية، وبذا يكون خطاب
شعر المعارضات خطاباً مقصوداً لغير ذاته باعتبار القصد وهو استقطاب المتلقي،
والفعل فيه على نحو ما « فالحجاج هو توجيه خطاب إلى متلقي ما من أجل تعديل رأيه
أو سلوكه أو هما معاً »^(١)، فالشاعر هنا استغل الأسلوب البياني/الكنائية، كأداة وتقنية
من تقنيات الحجاج؛ وذلك بهدف تحريك انفعالات الآخر والمتلقي الشعورية وإثارة
انتباههم، وبذا يتقاطع خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي.

٣- الوظيفة الإقناعية:

يُعد الإقناع غاية الخطاب الحجاجي وهدفه الأول حيث يُمهد الشاعر له
باستجماع الحجج، ووصف الأدلة، والوصل المنطقي بين البراهين، وتقريب الصورة
واستحضار معطيات واقعية محسوسة، وشواهد عقلية أو نقلية مخصوصة. ويقتضي
الإقناع القدرة على تمثل الإشكالية التي يعرض لها الشاعر في خطابه، والإحاطة بجميع
جوانبها ومعطياتها المختلفة، كما يتطلب الإقناع أيضاً تهيئة المتلقي لتلك الإشكالية
وكسب استعداده لتلقيها، ففي خطاب شوقي الرثائي الذي عارض به الشاعر التراثي
أبي العلاء المعري نجده يستعرض فكرة الموت والحياة، فيصف عدالة التراب/ القبر في
ضمه لجميع الطبقات المختلفة من البشر، وأن الموت نهاية حتمية وشر لا بد منه، وهكذا
إلى أن يصل إلى أن أمته قد تهيأت إلى هذا الشر فيقول:

٤٤- أُمَّةٌ هَيَّئَتْ وَقَوْمٌ خَيْرُ الدَّهْرِ — أَوْ شَرُّهُ عَلَى اسْتِعْدَادِ

فالشاعر يحاول تهيئة المتلقي وإقناعه واستدراجه إلى التسليم بصحتها. والأمثلة
على الوظيفة الإقناعية في خطاب شعر المعارضات كثيرة، تعكس تشكل اللغة لصياغة
الحجج المتنوعة والمتراصة لتهيئة المتلقي للقبول بوجهة النظر المعينة.

٤- الوظيفة الإخبارية:

(١) الولي، محمد. مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان. مجلة عالم الفكر، المجلد
٤٠: (تشرين الأول/أكتوبر- كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١)، ص: ١١.

تؤدي بعض العناصر الحجاجية وظيفة الإبلاغ والإخبار في الخطاب الحجاجي، ومن تلك العناصر على سبيل المثال الاستعارة، وليس معنى ذلك أن الاستعارة لا تقوم بوظائف أخرى، بل أن الاستعارة تؤدي إلى جانب تلك الوظائف وظيفية الإخبار التي تسوق إلى الاحتجاج، فتترجم موقف الشاعر من قضايا الكون، وتُسهم في قول ما لا تستطيع لغة الإعلام قوله بصورة أرقى وأعمق^(١).

ففي خطاب شوقي الذي عارض به أبا البقاء الرندي نجد الشاعر يستغل آية الاستعارة للإخبار عن حال بلاد الشام وما آلت إليه بعد الاحتلال الفرنسي، فيحدثنا عن وضع المسجد الأموي الذي كان منطلقاً للعلم والعبادة في عهد خلفاء بني أمية وقد أصابه الحزن فيقول:

١٣- مَرَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْمَحْزُونِ أَسْأَلُهُ هَلْ فِي الْمَحْرَابِ مَرْوَانُ

١٤- تَغَيَّرَ الْمَسْجِدُ الْمَحْزُونُ وَاخْتَلَفَتْ عَلَى الْمَنَابِرِ أَحْرَارٌ وَعِبْدَانُ

فبهذه الاستعارة الإخبارية يلتقي خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي، حيث يحتج الشاعر عن طريق الاستعارة على هذا الوضع المؤلم، وعلى التناقض الحاد بين الأُمس القوي، والحاضر المغلوب.

٥- الوظيفة الإيضاحية:

تقوم بعض العناصر الحجاجية بدور كبير في إيضاح بعض المفاهيم التي يستعين بها المتكلم في حياته العادية، فمفهوم عملية النطق عند البارودي على سبيل المثال تركز على الثناء فقط، الذي ينحصر بدوره على الفضل والنعمة التي جادت بها عليه بلاده، حيث يقول:

٩- فَإِذَا نَطَقْتُ فَبِالثَّنَاءِ عَلَى الَّذِي أَوْلَيْتُهُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ وَأَنْعَمِ

ومن خلال هذه الوظيفة يتقاطع خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي، حيث يحتج من خلال هذا الإيضاح على انحصار عملية النطق عنده على الثناء فقط.

٦- الوظيفة التأسيسية:

تتلخص هذه الوظيفة في تأسيس المتكلم لموقف ما حيال قضية ما، حيث يتوجه إلى المتلقي بهدف أخذ قبوله وموافقته حيال دعواه. والأمثلة على تلك الوظيفة كثيرة في خطاب شعر المعارضات، منها على سبيل المثال محاولة شوقي في خطابه الذي

(١) فضل، صلاح. علم الأسلوب. دار الشروق، مصر، ط: ١، ١٩٩٨: ٢٥٨.

عارض به البوصيري، تأسيس موقف حيال ما تحمله النفس الإنسانية من خير وشر، حيث توجه للمتلقي بوصف يعكس مدى شراسة تلك النفس وإسرافها في أبواب الهوى والملاذات، وهذا التوجه يقصد من خلاله الشاعر أخذ قبول المتلقي وموافقته لتلك الدعوى الحجاجية، حيث يقول:

٣٧- وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخَمٍ

٣٨- تَطْفَى إِذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَذَّةٍ وَهَوَى طَغَى الْجِيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكْمِ

وبهذا التأسيس يلتقي خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي، فهذا التأسيس ينبني على غاية حجاجية واضحة.

٧- الوظيفة التوجيهية :

تتمثل هذه الوظيفة في إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، بالإضافة إلى إيصال المستدل حجته إلى غيره^(١)، بهدف جعل العقول تتوجه إلى الانخراط في الدعوى. ومن أمثلة ذلك في خطاب شعر المعارضات قول شوقي:

١٧٦- لَا تَعْدِلُوهُ إِذَا طَافَ الدُّهُولُ بِهِ مَاتَ الْحَيِّبُ فَضَّلَ الصَّبُّ عَنْ رَغَمٍ

فالشاعر هنا يلجأ إلى توجيه المتلقي نحو هول الصدمة من وفاة النبي محمد ﷺ، وهذا التوجيه يقصد إلى انخراط المتلقي في تلك الدعوى، وبذلك يلتقي خطاب شعر المعارضات مع الخطاب الحجاجي في توجيه المتلقي واستحثائه للانخراط نحو دعوة ما.

(١) استراتيجيات الخطاب : ٤٧٠.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى قراءة خطاب شعر المعارضات في ضوء الآليات الحجاجية، وفي ضوء الثقافة التي أنتجته، وقام بطرح أسئلة تتعلق بسيقات المعارضات للكشف عن معانيها وأبعادها، فجاء التحليل في هيئة اختبار لآليات الحجاج ، ودورها في استراتيجيات تحولات المعنى، وفهم تلك الآليات الجديدة، ومن ثمة جاءت نتائج البحث على النحو الآتي:

أولاً / النتائج العامة :

- ١- التغيير والتحول في المعنى سمة من سمات اللغة، أما الثبات فهو مجرد خرافة يجب الغاؤها كما ينادي بذلك ريتشاردز.
- ٢- إثبات الشاعر الإحيائي أن المعنى ليس شيئاً متحجراً وجامداً يتناوله على سبيل الإعادة والتكرار.
- ٣- قدرة الشاعر الإحيائي على ابتكار شفرة خاصة به، تسهم في تحولات المعنى من النص المعارض، إلى نصه المعارض، دون أن تفقد خصائص شفرة السياق الخاصة بالنص التراثي.
- ٤- مجيء التحولات في خطاب شعر المعارضات على نوعين:
تحولات خارجية تكمن جذورها في تبدل المرجع أو السياق دون تبدل المفردة، وتحولات لغوية - ألسنية - وهي التي تمس البنية اللغوية مباشرة لأنها تبدل الاسم، أو المعنى داخل نظام اللغة، ويتم من خلال ما يُسمى بالتشابه العلائقي بين الكلمات أو المفردات.

ثانياً/ النتائج التفصيلية:

- توصلت الدراسة من خلال دراسة الآليات الحجاجية ودورها في تحول المعنى إلى أن:
 - ١- الحجاج يعمل على اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب الشعري.
 - ٢- الكشف من خلال المقارنة بين المستويات الخطابية في الخطاب التراثي، وخطاب شعر المعارضات عن دورها الحجاجي في تحول المقاصد، ومن ثم تحول الدلالات والمعاني في شعر المعارضات.

- ٣- مساهمة الأفعال اللغوية الحجاجية في التعبير عن وجهة نظر الشاعر الإحيائي، وفي تحول مقاصده التي تتحدد بها معانيه ودلالاته، من خلال جميع مستوياته اللسانية، والبلاغية، والفلسفية.
- ٤- مساهمة الآليات شبة المنطقية في الكشف عن المعاني المتحولة بتحول الأبنية الخطابية في خطاب شعر المعارضات.
- ١- قدرة الخطاب الإحيائي على النفاذ إلى عالم الخطابات التراثية، وإعادة خلق التجربة، وتشيد علاقات جديدة مع تلك الخطابات من خلال الآليات الحجاجية.
- ٢- قابلية نسق الصورة الحجاجية للتجدد والاستمرار، مما يسمح بتطبيقه على خطاب شعر المعارضات من أجل إنتاج معانٍ ودلالات جديدة.
- ٣- تقاطع الخطابات التراثية مع الخطابات الإحيائية في الكثير من الصور الحجاجية؛ إلا أن تلك الصور تؤدي إلى معنى مختلف ومغاير.
- ٤- الكلمة لا يُنظر لها في حرفيتها بل من خلال انصوائها تحت السياق الشعري الذي تنتمي إليه، والذي يتجاوز بها السنن ويحرق القانون، ليؤسس لها دلالات جديدة تفتح على العديد من التأويلات المختلفة.
- ٥- انفتاح الخطاب الجديد على الخطاب القديم عند دراسة الصورة الحجاجية في خطاب شعر المعارضات يحيل على استخدام معطيات التراث استخداماً فنياً إيحائياً من خلال إسقاط ملامح المعاناة الخاصة بالشاعر الإحيائي فتتحول هذه المعطيات إلى عناصر جديدة تحمل دلالات جديدة.

التوصيات :

- ١- إعادة قراءة النماذج الشعرية القديمة في ضوء ما توفره البلاغة الجديدة من أساليب وآليات وإجراءات منهجية تكشف عن معانيها الجديدة.
- ٢- إعادة قراءة خطابات شعر النقائض من الواجهة البلاغية الجديدة؛ للوقوف على تحولات المعنى فيما بينها.
- ٣- مناقشة دور الأساليب الحجاجية في الكشف عن المعنى في الخطابات الأدبية.

المراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله . الديوان. شرح: يوسف فرحات، بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ١، ١٤١١.
- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد . العقد الفريد . تحقيق: عبد المجيد الترحيبي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤٠٤، ج ٧.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط: ٦، ٢٠٠٨.
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. الديوان. تحقيق: محمد عبده عزام، مصر: دار المعارف، مج: الأول، ١٩٦٤.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ. الديوان. تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، راجعه وفهرسه: أحمد إبراهيم زهوة، بيروت: دار الكتاب، ١٤٢٨.
- البارودي، محمود سامي. الديوان. حققه وصححه وضبطه: علي الجارم ومحمد شفيق معروف، مصر: دار المعارف، ١٣٩١، ج/ ٢.
- البحترى، أبو عبادة طيء بن أدد. الديوان. بيروت: دار صادر، مج: ١، ط: ٣، ٢٠١٢.
- بن شداد، عنتره. الديوان. تحقيق: محمد سعيد مولوي، القاهرة: المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.
- البوصيري، شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد. الديوان. محمد سيد كيلاني، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط: ٢، ١٣٩٣.
- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ط: ٣، ١٩٩٢.
- الحباشة، صابر. التداولية والحجاج مداخل ونصوص. دمشق: صفحات: ط: ١، ٢٠٠٨.
- الحربي، فرحان بدري. الأسلوبية في النقد العربي. بيروت: مجد المؤسسة الجامعية، ط: ١، ١٤٢٤.
- حسن، عباس. النحو الوافي. القاهرة: دار المعارف، ط: ١٣، ٢.
- الحمداني، أبو فراس. الديوان. تقديم وشرح وتعليق: أحمد فاضل، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط: ١، ٢٠٠٣.

- الداية، محمد رضوان. أبو البقاء الرندي، شاعر رثاء الأندلس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٦.
- الدريدي، سامية. الحجاج في الشعر العربي القديم. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط: ٢، ١٤٣٢.
- الريفى، هشام. (الحجاج عند أرسطو). ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- زنبير، أحمد. المعارضة الشعرية، عتبات النص في القصيدة المغربية. المغرب: دار أبي رقرق، ط: ١، ٢٠٠٨.
- السكاكي، أبي يعقوب بن محمد بن علي. مفتاح العلوم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ٢، ٢٠١١.
- الشريف الرضي. الديوان. بيروت: دار صادر، مج: ١.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: ١، ٢٠٠٤.
- شوقي، أحمد. الشوقيات. تدقيق: محمد فوزي حمزة، القاهرة: مكتبة الآداب، ط: ١، ١٤٣٠.
- صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن الكريم. بيروت: دار الفارابي، ط: ١، ٢٠٠١.
(الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه) ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمادي صمود، تونس: كلية الآداب منوبة.
- (البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج))، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته. مجموعة من المؤلفين، تحت إشراف: حافظ إسماعيلي علوي. إربد: عالم الكتب الحديث، ج: ١، ٢٠١٠.
- الصولي، أبو بكر. أخبار أبي تمام. تحقيق: خليل محمود عساكر وآخرون، بيروت: المكتب التجاري.
- الطلبة، محمد سالم الأمين. الحجاج في البلاغة المعاصرة. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط: ١، ٢٠٠٨.

- العبد، محمد . النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، إربد : عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠.
- عبد الرحمن، طه .
اللسان والميزان أو التكوثر العقلي . الدار البيضاء : المركز العربي الثقافي، ط: ١، ١٩٩٨.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، ط: ٢، ٢٠٠٢.
- عبد المجيد، جميل . البلاغة والاتصال . القاهرة : دار غريب ، ط: ١، ٢٠٠٢.
- العزاوي ، أبو بكر .
الخطاب والحجاج . بيروت : مؤسسة الرحاب، ط: ١، ٢٠١٠ .
(الحجاج في اللغة)، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، إربد : عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠ .
اللغة والحجاج . الدار البيضاء ، ط . ١، ٢٠٠٦ : ٢٩ .
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . الصناعتين . ضبطه وصححه وخرّج آياته : لجنة تحقيق بإشراف عبد المحسن سليمان عبد العزيز، القاهرة : المكتبة التوفيقية ، ط: ١، ٢٠١٣ ،
- العشراوي ، عبد الجليل . الحجاج في الخطابة النبوية . إربد : عالم الكتب الحديث ، ط: ١، ٢٠١٢ .
- عشير ، عبد السلام . عندما نتواصل نغير . الدار البيضاء : أفريقيا الشرق، ط: ٢، ٢٠٠٤ .
- العناتي ، وليد أحمد . (تحليل الخطاب وتعليم اللغة الأجنبية) . ضمن كتاب : لسانيات النص وتحليل الخطاب .
- عيد ، محمد عبد الباسط . في حجاج النص الشعري . الدار البيضاء : أفريقيا الشرق، ٢٠١٣ .
- الغرافي ، مصطفى . (الأبعاد التداولية لبلاغة حازم من خلال "منهاج البلغاء وسراج الأدباء") . ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب . تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي منتصر أمين عبد الرحيم، الأردن: دار كنوز المعرفة، ط: ١، ١٤٣٥ .

- فضل ، صلاح . علم الأسلوب . دار الشروق ، مصر ، ط: ١ ، ١٩٩٨ .
- القارصي ، محمد علي . البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار . ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم . بإشراف : حمادي صمود ، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، تونس ، كلية الآداب ، منوبة ، ١٩٩٨ .
- القرعان ، فايز . سلطة النص على دالات الشكل البلاغي . أريد : عالم الكتب الحديث ، ٢٠١٠ .
- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب . الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبدیع . وضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط: ١ ، ٢٠٠٣ .
- المتنبی ، أحمد بن الحسين بن الحسن . الديوان . راجعه وفهرسه : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٢٧ .
- المرادي ، الحسن بن قاسم . الجنى الداني في حروف المعاني . تحقيق : فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط: ١ ، ١٤١٣ .
- المرزوقي ، محمد ، والجيلاني بن يحيى . أبو الحسن الحصري القيرواني ، عصره ، حياته ، رسائله ، ديوان المتفرقات ، ياليل الصب ، ديوان المعشرات ، اقتراح القريح . تونس : مكتبة المنار ، ١٩٦٣ .
- المعري ، أبو العلاء . سقط الزند . بيروت : دار بيروت ، ١٣٧٦ .
- النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية . الديوان . جمع وشرح وتعليق : محمد الطاهر ابن عاشور ، تونس : الشركة التونسية ، ١٩٧٦ .
- نوفل ، محمد محمود قاسم . تاريخ المعارضات في الشعر العربي . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط: ١ ، ١٤٠٣ .
- يوسف ، أحمد . (السيميايات التداولية من البنية إلى السياق) . ضمن كتاب : التداوليات وتحليل الخطاب ، إشراف : حافظ إسماعيل علوي ، دار كنوز المعرفة العلمية ، عمان ، ط: ١ ، ١٤٣٥ ، ص: ٢٤ .
- يوسف ، عبد الفتاح . لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة . بيروت : منشورات الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف ، ط: ١ ، ٢٠١٠ .

ثانياً: المراجع الأجنبية المترجمة :

- بارت ، رولان. قراءة جديدة للبلاغة القديمة . ترجمة : عبد الكبير الشراوي ،
الدار البيضاء: أفريقيا الشرق ، ١٩٩٤ .
- بلوم ، هارولد . قلق التأثر ، نظرية في الشعر . تر : عابد إسماعيل . بيروت : دار
الكنوز الأدبية ، ط:١، ١٩٩٨ .
- بليث، هنريش . البلاغة والأسلوبية، ترجمة : محمد العمري، الدار البيضاء : أفريقيا
الشرق، ١٩٩٩ .
- دولودال ، جيرار. التحليل السيميوطيقي للنص الشعري . ترجمة: عبد الرحمن
بوعلي، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط:١، ١٩٩٤ .
- ريتشاردز، آ.أ. فلسفة البلاغة. ترجمة: سيعد الغانمي وناصر حلاوي، الدار
البيضاء: أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢ .
- شترواس، كلود ليفي . الفكر البري . ترجمة وتعليق: نظير جاهل، بيروت: المؤسسة
الجامعية، ط:٣، ١٤٢٨ .
- لاينر، جون . اللغة والمعنى والسياق . ترجمة: عباس صادق الوهاب ، مراجعة :
يونييل عزيز ، العراق : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧ .

ثالثاً : الدوريات والمقالات :

- أحمد يوسف . تحليل الخطاب من اللسانيات إلى السيميائيات ، مجلة نزوى ، العدد:
٢٠٠٦، ١٢
- حمداوي ، جميل . نظريات وظائف اللغة. مقال منشور على الشبكة العنكبوتية ،
بتاريخ ٢٠١٢ أبريل، www.doroob.com/?p=15293 .
- الولي ، محمد . مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان . مجلة عالم الفكر
، المجلد : ٤٠ ، (تشرين الأول/أكتوبر - كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١) .

رابعاً : الرسائل :

- بن خراف ، ابتسام . الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب: (الإمامة والسياسة)
لابن قتيبة . رسالة دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر - باتنة ، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠١٠ .